العدد رقم 0

الجالية

مجلة الشؤون العربية والعربية-الشتاتية

كانون الثاني - 2025

الجالية
مجلة الشؤون العربية والعربية-الشتاتية

العدد رقم 0

كانون الثاني - 2025

الهيئة التحريرية
جواكيم كارلوس الراسي (الجامعة البابوية الكاثوليكية في ساو باولو).
صفا جبران (جامعة ساوباولو)
سلام راسي (جامعة إدنبرة)
طلال بوخضر

الإدارة والإعداد: غوستافو الراسي ويارا عثمان
الغلاف والشعار: يارا عثمان
التنسيق والإخراج الفني: غوستافو الراسي ويارا عثمان
الترجمة للنسخة العربية: يارا عثمان (عن البرتغالية) ولينا عثمان (عن الإنجليزية).
المراجعة: طلال بو خضر، سامي فياض

جميع الصور متاحة للاستخدام العام، باستثناء تلك التي تم إرفاق رابط لها مع الإشارة إلى حقوق النشر.

تكرمت الفنانة سارة قائد و الفنان يان بويشات بمشاركة أعمالهم الفنية للاستخدام ضمن العدد (حقوق النشر محفوظة).

تم الحصول على صور المنشورات العربية من أرشيف مركز موييز خير الله للدراسات الانتشار اللبناني.

تعاونوا معنا

الجالية: مجلة الشؤون العربية والعربية-الشتاتية
توزيع إلكتروني مجاني غير ربحي.

الفهرس

الافتتاحية 8

مانيفستو 12

تاريخ - سياسة - مجتمع

كتاب الواجبات 18
لسامى يواكيم راسي

صحافة المهاجرين العرب في البرازيل 24
سميرة عادل عثمان

سياقات تاريخيّة لحركات دعم القضيّة الفلسطينيّة في البرازيل 32
لوسيانا غارسيا أوليفيرا

سياسة الموت البرازيلية بلمسة صهيونية 40
نتاليا نحاس كارنيرو مايا كلفت

الاستشراق والإمبريالية وجذور التحيّز في التغطية الغربية لفلسطين 52
جوزيف ضاهر

فلسطين هي العالم 62
غوستافو الراسي

تجليات أدبية في النكتة السياسية 66
إيثار ضاهر

ثقافة - فنون - آداب

بائعة القهوة 80
نيوني

معرض الجالية 83
يان بويشات

الفنانة المدعوة 91
سارة قائد

بعين طير : تضاريس ثلاثة لأغاني القضية الفلسطينية 108
علي موره لي

مراجعة الكتب

كتاب ضد الجيران الطيبين لمُعسكر داخاو 114
ڤاندر ويلسون

في جعبة الظرفاء

ياليته بقى صغيرًا: حكاية حال 122
أمين ناصر الدين

نبذة عن المؤلفين 126

الافتتاحية

بعد انقطاعٍ دام لنحو قرنٍ من الزمن، نعود لإحياء واحدة من المجلات العربية التي نشأت في القارة التي نسمّيها "أمريكا"، ألا وهي مجلة "الجالية" التي أسّسها وأدارها سامي يواكيم الراسي، وقام بتحريرها بني يواكيم الراسي. في عودتنا هذه، لا نسعى فحسب لعرض ما كانت عليه المجلة، بل أيضًا ما يمكنها أن تكون وما قد تصبح. نرى في مساعينا تكريماً لأسلافنا، رغم تحفظنا في استخدام هذا المصطلح، خاصةً في وقتٍ أصبح فيه محمَّلاً بالإشكالات والالتباسات؛ ننوّه إلى أنّ أسلافنا المهاجرين ميسوري الحال، الذين اتُّخِذوا زيفًا كرموز للهجرة، قد تفوّقوا على أولئك المهتمِّين بالحالات والمهام والواجبات والمشكلات الحاضرة آنذاك والذين فكّروا بها ونظّروا لها. ولصعوبة إنكارنا لهذا التجاوز، فإنّنا نرى أنّه لمن الواجب إعادة ترتيب الأوراق وذلك بتكريمنا لأولئك الذين جاؤوا قبلنا وبقوا طيّ النسيان، بينما اهترأت أعمالهم على الرفوف المغبرّة للأندية والجمعيات. وعليه، فإن مهمّتنا الأساسية هي إحياء هذه الذكريات رامين لإعادة بناء ذاكرة جماعية جديدة.

أولاً وقبل كل شيء، لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر لجميع المؤلفين الذين تفضلوا بمشاركة أفكارهم وتحليلاتهم وفنونهم معنا، فضلًا عن الأفراد الذين ساعدونا ببعض المهام، داعمين بجهودهم هذا المشروع التعاوني المستقل، ممّا أتاح لنا الفرصة لتقديم عمل يمكن أن يعكس المبادئ التي نعتقد بأنها كانت أساس "الجالية" بنسخها المبكرة بما يتماشى مع رؤيتنا لما يجب عليه أن تكون الآن.

في هذا العدد، تلتقي أفكار متنوعة تركّز بشكل أساسي على واقع منطقة بلاد الشام، التي كانت أوضاعها الراهنة – من المجازر التي ارتكبتها الكيان الصهيوني في فلسطين، إلى غزو جنوب لبنان وانهيار النظام السوري – دوافع رئيسية لاختيار الموضوعات التي تناقشها النصوص. وبغية تعزيز الروابط وتقريب القرّاء والكتّاب من بعضهم البعض، نعتبر أنّه من المهم جدًا تقديم عملنا باللغتين الرئيسيتين المرتبطتين بالمشروع (العربية والبرتغالية)، وأيضًا باللغة الإنجليزية، باعتبارها شائعة كلغة وسيطة للكثيرين. سيرى القرّاء أننا نقدم ثلاث نسخ متشابهة، لكنها ليست متطابقة بالكامل، ففي النسخة البرتغالية مثلًا نشرنا ترجمة صفا جبران لقصيدة محمود درويش "طوق الحمامة الدمشقي"، بينما في النسختين العربية والبرتغالية نشرنا ترجمة لقصة قصيرة عن السودان، من تأليف القاصّة نيوني.

لقد بدأنا هذا العدد ببياننا الذي نعتقد ونأمل أنه لا يحتاج إلى الكثير من الشرح. أما بالنسبة للمقالات، فنفتتح العددين البرتغالي والإنجليزي بترجمة فصل من "كتاب الواجبات"، الذي ألّفه مؤسس "الجالية" سامي الراسي عام 1911، بينما نفتتح العدد العربي بذات الفصل كما نُشر في الكتاب الأصلي باللغة العربية، والذي يناقش بشكل خاص المهمة الاجتماعية للكاتب، ويرى أن عليه تحمُّل مسؤولية العمل على تيسير التواصل الواضح ونقل المعرفة وبناء المجتمع، وذلك في مواجهة النجاح السهل وانتشار الأفكار الفاسدة. بهذا نأمل أن نكون قد قدّمنا للقرّاء لمحة عن أفكاره في تلك المرحلة. بعد ذلك، تتابع سميرة عادل عثمان في سياق تاريخي مشابه، حيث تُسهم في مواجهة الصورة النمطية السائدة في البرازيل عن العرب (كتجار متجولين أو عصاميين شرق أوسطيين)، مدافعةً عن الإنتاج الفكري العربي في هذه البلاد. وإنّها بهذا لا تُنكر أهميّة التجار العرب، الذين فُرِض عليهم بشكلٍ أو بآخر هذا الدور الاجتماعي، بل توضّح كيف أن المجتمع العربي أنتج أكثر من مجردً ثروات مالية، وذلك من خلال إصداره العديد من المنشورات التي كانت تُعالج القضايا الأكثر إلحاحًا في عصره وتساهم في محاولة خلق شبكة دولية لتبادل الأفكار.

من الماضي البعيد إلى الحاضر الأقرب، تقدم لنا لوسيانَا غارسيا سياق التنظيم السياسي الفلسطيني في البرازيل خلال السنوات الأخيرة من النظام المدني-العسكري البرازيلي (1964-1985)، ثم ننتقل إلى الحاضر الأكثر قربًا مع ناتاليا كلفت التي تناقش العلاقات بين البولسونارية وسياسات الموت والصهيونية، باحثةً في الروابط الآيديولوجية التي تُغذي آلة الإبادة الجماعية. يتبع ذلك مقال جوزيف ضاهر، الذي نُشر أصلاً في موقع "الجزيرة"، والذي يقدم لنا صورة سياقية عن التغطية الإعلامية الغربية للمجزرة الفلسطينية. تمكننا خبرة ضاهر الخاصة من الإطلاع ليس فقط على السياق التاريخي، بل أيضًا على إشارات دقيقة حول أين ومتى بدأت هذه المشاكل، فضلًا عن كيفية استمرارها.

حول فلسطين أيضًا، نقرأ مقال غوستافو الراسي، الذي نُشر بدايةً بالبرتغالية على مدونة دار طبلة للنشر، لكننا نعيد نشره هنا بنسخته العربية. يستعرض الراسي، انطلاقًا من فكر والتر بنيامين، الوضع الفلسطيني من منظور فلسفي باعتباره النموذج المثالي للوضع المعاصر والأقرب للهولوكوست، رغم أنّه قد يتجاوزها. أما المقال الأخير في هذا القسم، فيتوجه إلى سوريا، وهو لإيثار ضاهر، التي تناقش المحتوى الأدبي الصريح للسخرية السياسية في السياق السوري وتحلله من خلال نظرية باختين. يقدم هذا المقال الذي ننشره بالتزامن مع سقوط النظام الأسدي، مشهدًا غير مألوف خاصةً للبرازيليين، فضلًا عن احتوائه على بعض النكات الجيدة التي تشير بذاتها على واقع لم يعرفه من لم يكن سوريًا أو مطلعًا على الشأن السوري، عدا عن أنّها قد تنطبق بشكل جيّد على الواقع البرازيلي.

ننتقل إلى قسم "الآداب والفنون"، الذي يبدأ بترجمتنا لقصة نيوني آنفة الذكر، ويحملنا بعدها لمعرض للصور الفوتوغرافية كان قد التقطها الصحفي والمراسل الحربي يان بويشات، بالإضافة إلى رسومات سارة قائد، الفنانة البحرينية المقيمة في إنجلترا، والتي بحدة بصرها وفطنتها تقدّم صورة لاذعة للواقع المعاصر وتثري المساحات بين مقالات المجلة. يتبع ذلك مقال موسيقي كتبه الموسيقي والناقد السوري المقيم في برلين، علي موره لي. يستكشف النص ثلاث مسارات للأغاني المؤيدة لفلسطين، مقدّمًا للقرّاء لمحةً عن علم الموسيقى العربي وحيثيات تأثير الأغنية على الجماهير. بعد ذلك ننتقل لقسم مراجعات الكتب لنسلّط الضوء على كتاب "فلسطين مونامور" للكاتب ألفريدو بونانو. كتب هذه المراجعة عالم الأنثروبولوجيا الأناركي فاندر ويلسون الذي ربط أفكار الطبيب النفسي الإيطالي بونانو بإعادة إنتاج الأشكال الفاشية في العالم المعاصر، بما في ذلك في البرازيل. يبني ويلسون تحليلاً يبدو رمزيًّا ولكنه يتناول جذور النموذج السياسي الحالي، متقاطعًا مع الأفكار التي ناقشها الراسي سابقًا.

بإطلالة على لبنان نختتم بإعادة نشر نص لأمين ناصر الدين في قسم "الطرائف" والذي كان قد نشر في "الجالية" عام 1923. تمزج النصوص التي عثرنا عليها في النسخ الأصلية للمجلة بين القصص القصيرة والحكايات الشفوية – بعضها جاد والآخر فكاهي – وتنقل نوعًا من الحكمة الشعبية الخاصة بتلك المرحلة والتي قلّما نحظى بفرصة للاطلاع عليها في يومنا هذا.

لقد تمت مراجعة جميع النصوص، وتم العمل التحريري بالتعاون مع مؤلفيها حد الإمكان. وهي تعبّر عن آراء مدعومة بالأسس المناسبة، دون ادعاء الحقيقة المطلقة، وتركّز على فتح الحوار والتواصل بدلاً من تقديم حلول نهائية. لذا فهي تهدف إلى نشر المراجع والأفكار وذلك استنادًا إلى تخصصات المؤلفين وتجاربهم الشخصية التي يشاركونها مع القرّاء.

وأخيرًا، لا يمكننا أن نغفل عن ذكر الصعوبات التي واجهناها طوال هذه الرحلة التي بدأناها. فبحكم استقلالنا وغياب التمويل، كانت مسؤولية المشروع بأكمله تقع في الغالب على عاتق شخصين فقط تقاسما المهام المختلفة من البحث، الترجمة، المراجعة، التصميم، التنسيق، إنشاء الموقع وإدارة الشبكات الاجتماعية بالإضافة إلى ساعات طويلة من الاجتماعات. وفي عالم لا يمنحنا غالبًا فرصة التفاني الكامل في العمل الثقافي والفكري، فإن التوازن بين البقاء الاقتصادي والعمل تبعًا لمواقفنا السياسية يشكّل تحديًا كبيرًا. أحيانًا، قد تنتج عن هذه الصعوبات بعض الأخطاء والنواقص، ومع ذلك فإن ثمار هذا الجهد تتجلى في هذه المجموعة من المقالات والأفكار التي نهديها إلى قرّائها ومؤسسيها آملين أن نكون قادرين على تحقيق ما عملوا ونعمل اليوم لأجله.

مانیفستو

"...ومدمّرو المدائن ومهلكو القبائل لم يكونوا أكثر قسوةً على النّوع البشري ولا أشدّ تأثيراً في تقهقر المدنية من مؤلّفي الكتب السّاقطة وناشري الآراء السّافلة."

سامي الراسي/ 1911.

كعاصمةٍ عالميّةٍ كبرى، وبين أحياء الطبقة العاملة مثل براس، موووكا، بيلينزينيو، وباريّ، كامبوسيّ وكانيندي، وبارا فوندا، وصولاً إلى المجمعات العمالية في بومبيا وفيلا رومانا، وبين الكيلومبوس الحضرية مثل ساراكورا، والأكواخ في كاسا فيردي، ومنطقة "سينكو إسكيناس" التي عُرفت بأنها مركز للمقاومة السوداء، كانت ساو باولو في أوج توسّعها الاقتصادي والثقافي في بداية القرن العشرين؛ بخليطٍ مُتنوّعٍ من اللغات والمجتمعات ومفعمة بالعنف والتناقضات.

كان العرب القادمون من بلاد الشام يملؤون ضواحي المثلث التاريخي بالأقمشة المستوردة أو يهيمون في الشوارع الطرفيّة لبيع المنتجات اليومية، لكن الهجرة العربية إلى البرازيل لم تقتصر فقط على الباعة المتجوّلين، فعلى الرغم من هيمنة أسطورة "الرجل العصامي" (self-made man)، ظهر أيضًا بينهم المثقفون الذين ـ وإن اضطروا إلى العمل في التجارة ـ أضافوا للمدينةِ إنتاجًا فكريًا غنيًا.

تدفّقت المنشورات العربية في البرازيل وأمريكيتيّ "الحقبة الجميلة" بالعموم، وانقسمت الجالية العربيّة بين مثقّفين وديماغوجيين: هنالك من اندمجَ بالتقاليد الليبرالية خلال تلك الفترة، بينما تمسّك الآخرون بالخطاب القومي الناشئ حينها.

هذه الذكرى مجهولة بشدّة إن لم تكن مُتجاهلة عمدًا، ولولا جهود المثقفين ـ من العرب وغير العرب ـ الذين سعوا للبحث عن أي أثر للوجود الثقافي العربي آنذاك لما أتيحت لنا اليوم هذه الفرصة لإعادة إحياء تراث يواجه السرديات المهيمنة التي غالبًا ما تُلحق الضرر بنا نحن المعنيون بهذه العملية.

من بين العديد من تلك المنشورات العربية في بداية القرن العشرين، تركت مجلة الجالية أثرًا خجولًا؛ لم يعرفها الكثيرون، لكن من عرفها كنّ لها من الإعجاب شيئًا كثيرًا. بطريقةٍ أو بأخرى بدا وكأنّ بها شيئًا مختلفًا؛ فلم تكن مجرد مجلة للمستجدّات والأخبار، لكن وقبل ذلك، كانت مجلّةً تفكريّة ذات حس فكاهي وصدامي بآنٍ واحد، وكتبت فيها شخصيات مهمة من الجالية العربية في البرازيل كالأخوين داؤود وتوفيق قربان، كما كتب فيها مصطفى لطفي المنفلوطي، وغيرهم. علمًا بأنّه بالإمكان اليوم الإطلاع على بضع نسخ منها في مكتبة جافيت التابعة للجامعة الأميركية في بيروت.

دام عمر مجلة الجالية التي تمّ إطلاقها في 1922 ثمانيةَ أعوام، لتنهي مسيرتها بعد عام من وفاة مؤسسها سامي يواكيم الراسي، المولود في صيدا عام 1880، والذي تعلّم في ما كانت تُسمّى بالكليّة السورية وأصبحت لاحقًا الجامعة الأمريكية في بيروت. لقد جلب سامي وأخوته في جعبتهم علمًا يُعتبر نخبويًا، عدا عن وجودهم في خضمّ المناظرات والمرجعيات التي كانت معاصرة آنذاك. وعلى الأرجح فإنّ زواجهم من خارج المجتمع العربي، وتخليهم عن الضغوط الثقافية والمجتمعية المرتبطة بالحفاظ على الخصائص العربية، كانا السبب في أنّ مجلة الجالية حاربت الإشكاليات الحاضرة حينها: ظهور مجتمع جديد، علاقة وواجبات عرب بلاد الشام انطلاقاً من مرجعية مشتركة، والمطالبة بتصور جديد للثقافة العربية من منظور مهجري، وعبر الطرائف كقصّة الحادثة التي كادت أن تودي إلى دهس الشاعر الكبير روي باربوسا بواسطة أنيس الراسي (أخ سامي)، والسخرية اللاذعة التي وجهها سامي الراسي لأنطون سعادة مناديًا إياه بالحمار، اتخذت مجلة الجالية موقفًا نقديًا، وحشدت، بلا شك، العديد من المعارضين لها.

بناءً على روح التحدّي هذه التي تحلّى بها سامي وأخوته ستكون انطلاقة "الجالية" الجديدة، ولن نسعى عبرها للشرح؛ إذ تتوفر إمكانية الوصول إلى شتى أنواع المعلومات في عالمنا المعاصر المتّسم بالتواصل. لدينا ما نقوله لأولئك الذين يودّون قراءتنا، مشاهدتنا، وسماعنا. علمًا بأنّنا لا نرغب في تعزيز الصور النمطية، تبرير الخصائص، أو غض النظر عن المشكلات. بدلًا من ذلك، نريد أن نعرض كلّ ما يمكن أن يقدّم للجميع إمكانية الاقتراب مما نعتقده قضايا ملحة في عالمنا المعاصر، انطلاقًا من منطقة أصبحت في السياسة الدولية، للأسف، مباراة شطرنج لانهائية.

رغم إدراكنا لمدى صعوبة هذا التحدّي لكننا أيضًا في طريقنا لتحقيق ما نصبو إليه نسعى للتشارك الفعّال والتعاون مع حمَلة الآراء ووجهات النظر التي غالبًا ما يتمّ كتمها أو التشويش عليها، ليس فقط داخل البرازيل أو داخل البلدان الناطقة بالعربية بل في كل مكان. نطمح في مجلتنا هذه لإعادة إحياء عالم النشر باللغة العربية في البرازيل بكل ما نستطيع تحقيقه/الكشف عنه/البحث فيه بما يتعلّق بتفاصيل الحياة اليومية للواقع العربي المتعدد سواءً في البلدان التي تعيشه، أو في تلك التي ورثت عنه القصص واحتفظت بها في ذاكرتها الحية.

نحن هنا لنوسّع المراجع ونبني الجسور والشبكات ونطرح الأسئلة. وعليه، فإنّنا نأخذ على عاتقنا هذا العهد، بنفس الشكل والشدة اللتين اتبعهما أسلافنا، كما وندعو الجميع للسير معنا عبر دروب بدأنا للتو في تمهيدها.

وإننا إن نتقدم إلى الجميع ببياننا هذا فإنّ صدقنا فيما نقول يوجب علينا الإقرار بالآتي ولكم حرية القراءة والمحاكمة:

1

"الجالية" مبادرة مستقلة موجّهة لكلّ من يرى في الفنّ والفكر أشكالاً من التعبير النقدي تتيح لنا اتخاذ موقف تأملي، مسؤول، ونضالي في هذا العالم.

2

لا شيء ـ على الإطلاق ـ يبرّر الاستبداد، ناهيك عن الرغبة به. إنّ العمليات الاجتماعية والتاريخية قد تكون مفهومة، لكن ذلك لا يلزمنا بقبول أي تبرير لاستخدام القوة القسرية كشرّ لا بد منه؛ إنّنا نحتضن الاختلاف، لكننا ندرك أن تعقيدات الديناميّات الاجتماعية لا يجب أن تُقبل كحالة طبيعية أو نسبية إلى درجة تجعلنا ننسى المعاناة الحقيقية التي يعيشها البشر على أرض الواقع تحت أيدي أصحاب القوة.

3

سنكافح الاستشراق باعتباره شكلاً موازياً لأي نوع من التمييز والعنصرية؛ لن نكتفي برفض التمثيلات الاستشراقية للشعوب العربية، بل سنعمل على فضحها ما لم يسرع أصحابها بتقديم اعتذار علني.

4

لا نتنافس مع المجموعات التي تتراكض لتمثيل أدوار البطولة رغبةً منها بالسلطة، سواء في الأوساط الأكاديمية أو الثقافية أو أي مجال مؤسساتي آخر.

5

نفهم العالم العربي كمنطقة تشكلت على مدى زمن طويل من خلال انتشار اللغة والتعبيرات القادمة من شبه الجزيرة العربية عبر التوسّعات التي شملت المناطق التي تعرف اليوم بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا. يشمل هذا التكوين التناقضات والمشاكل الناجمة عن العلاقات الإثنية والاجتماعية والثقافية والتاريخية التي تجعل من استخدام مفهوم "العالم العربي" كفئة فكرية ممكناً، لكنها ـ في الوقت نفسه ـ عاجزة عن تلخيص تعقيد وتنوع الواقع المرتبط بالجندر، والجنسانية، والإثنية، والعرق، والدين، واللغة، والطبقة الاجتماعية في المنطقة.

6

ستعمل "الجالية" على تطوير ونشر المعرفة حول الواقع العربي (على تعدده) بثلاث لغات (العربية والبرتغالية والإنجليزية)، وستبني الشبكات وتعزّز الموارد وتضمن استمرارية وتوسيع إنتاجها.

7

مجلتنا منفتحة لضم أفراد مستعدين للمساعدة في المهام التحريرية، وذلك دائماً بما يتماشى مع الإمكانيات المادية للمشروع ـ إن وجدت.

8

أخيراً، ندعو الجميع للتواصل معنا ومشاركتنا تجاربهم وأعمالهم وأفكارهم، ونؤكد على فتح الأبواب بشكل خاص لمن يشعر بالتجاهل، التهميش، الإسكات أو الاستغلال.

تاريخ
-
سياسة
-
مجتمع

كتاب ال

الفصل نشر لأول مرة في مجلة الهلال لمحررها جرجي زيدان،
العدد 9، بتاريخ ١ حزيران/يونيو 1911

واجبات المؤلفين نحو الأمة التي يؤلفون لها

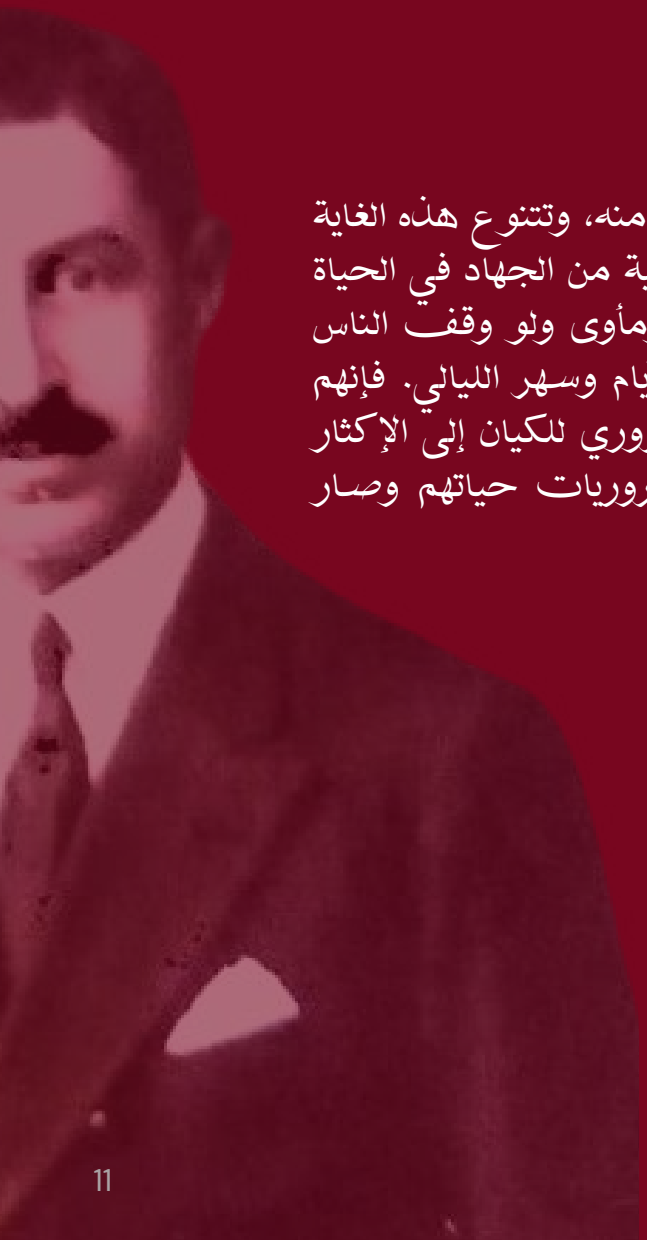

ما من عمل يعمله المرء دون غاية يتطلب الوصول إليها منه، وتتنوع هذه الغاية بالنسبة إلى مبادئ الناس وأخلاقهم . على أنّ الغاية الرئيسية من الجهاد في الحياة هي الحصول على ضروريات المعاش من غذاء وكساء ومأوى ولو وقف الناس عند هذا الحد البسيط من السعي لاحتاجوا إلى كدح الأيام وسهر الليالي. فإنهم على تمادي الأجيال والأعوام تجاوزوا الاكتفاء بما هو ضروري للكيان إلى الإكثار من الكماليات حتى أصبحت هذه الكماليات من ضروريات حياتهم وصار الربح القليل قليلاً على الكثير من مطالبهم.

وما مصدر هذا التجاوز إلا حب الميزة الذي تتطلبه أميال البشر وأخلاقهم . فبينما كان الإنسان يغتذي بقليل من اللحوم والأثمار أصبح لا يكتفي بالكثير من الألوان المركّبة من الأطعمة على مائدته، وبينما كان يقتنع بارتداء الحرير والأطالس وبعد أن كان الكوخ الحقير كافياً لوقايته من حر الشمس وقرس البرد أصبح لا يرضيه إلا القصور الشامخة والمباني الشاهقة.

واجبات

لسامى يواكيم راسي

كان الغرض من العمل الحصول على ما هو ضروري للكيان فتحول إلى إشباع النفس من شهواتها. وهيهات أن نجد حداً لمطالبنا وشهواتها. وإذ ذاك انقسمت الغاية من أعمالنا إلى المفيد والضار ثم انقلبت من السعي لسد الحاجة إلى السعي لنيل الشهرة والمجد.

أنت أيها العامل لا تحسن عملك وتجهد قواك لتربح وتعيش من هذا الربح فقط. لكنك إذا تيسّرت لك كفاية يومك من الخبز تتحول من طلب الخبز الى طلب المجد لك ولقومك، وما ذلك إلا لأن نفسك آهلة بعامليّ الميزة والشهرة وفي قواك ومواهبك ما يدفعك الى الغيرة والمجد. على أنّك إذا حوّلت تلك القوى والمواهب إلى الشّر عوضاً عن أن تحوّلها إلى الخير فإنما أنت تتطلّب المجد الفارغ الذي يؤول إلى حصر المنفعة في الذّات مهما تأتي بعد ذلك من المضار للآخرين.

حبّ المجد والسعي إليه في سبيل الخير والصلاح قد آلا إلى قيام المشاريع النافعة الكبيرة. وحبّ المجد والسعي إليه في سبيل الشر والطلاح قد آلا إلى سقوط الجماعات وتسمّم آداب المجتمع الإنساني. لذلك لا عار على المرء في طلب الشهرة والمجد اللهم إذا طلبهما في طريق الخير والنفع العام. على أنّ مقياس عظمة الشهرة وسموّ المجد ونبالة الأعمال هو مقدار ثبوتها وامتداد نفعها ولذلك كان فن التأليف من أشرف الفنون مقاماً لأنه الصّناعة الخالدة التي تربط الماضي بالمستقبل وتصل الخيال بالحقيقة.

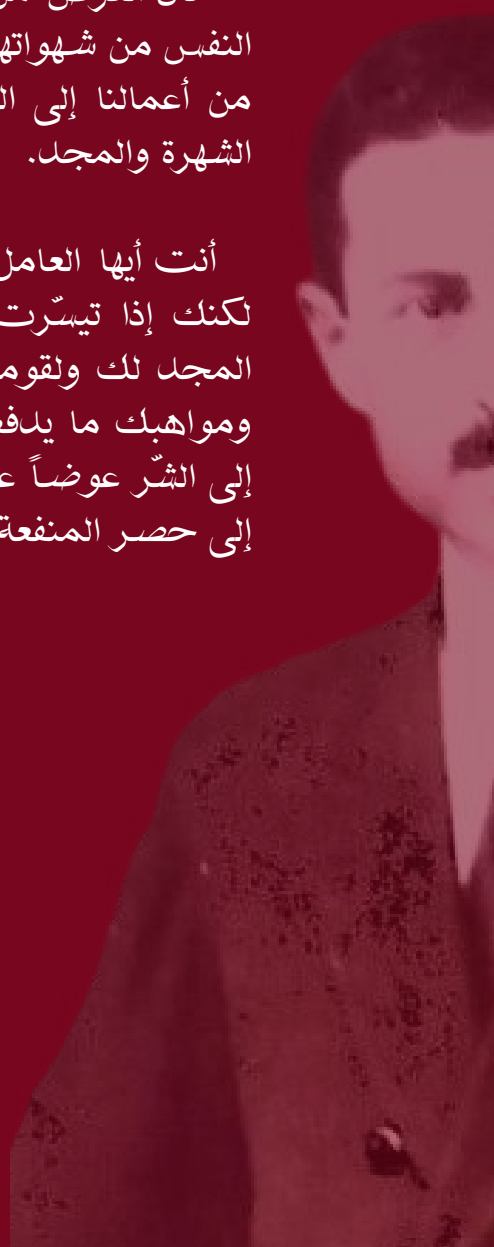

إن أهرام مصر وسور الصين وجنائن بابل وبقايا عمائر أثينة ومباني رومية لم تكن أكثر ثبوتاً على الأيام من أسفار موسى وتعاليم كنفوشيوس وفلسفة أرسطو وفصاحة شيشرون. ومدمرو المدائن ومهلكو القبائل لم يكونوا أكثر قسوة على النوع البشري وأشد تاثيراً في تقهقر المدنية من مؤلفي الكتب الساقطة وناشري الآراء السافلة.

لا عار على من يتطلب المجد والربح إذا كتب في خدمة الحقيقة والنفع العام كم
كتب في خدمة الذات المجردة ولم يتوخ أن يكون ما كتبه مفيداً. بيد الأول قلم
بركة الإنسانيّة. وبيد الثاني قلم الرذيلة ويده تستحق القطع لأنه لعنة المجموع.

لذلك أرى أنّ أول واجبات المؤلف وأهمّها النظر إلى النفع الع
تسمّم آداب العائلة بسموم مبادئها ولست ترى لمؤلفيها عذراً س
الفريق المنحطّ من النوع الإنساني، فكانوا مرغِّبين في السّفالة م
لصوص الربح والشهرة.

على أن الأمة الغنية بمؤلفاتها الفنية والعلمية
بمؤلفاتها الساقطة تدل على انحطاط آدابها وأح
بمؤلفيها، وذلك بتشجيع الراقين منهم ومساعد
المؤلفين إلى أعلى المناصب الاجتماعية إذا
والشهرة ثم إن المؤلف يجب أن يراعي في تأليـ
جيداً أن الذين ألفوا ليظهروا مقدرتهم الفنية قل
تختص بفئة قليلة من الناس ـ على أنّ الغاية
فائدته. ومن يهتم بهذه التأليف لهو كمن يهتم

إن أهرام مصر وسور
بقايا عمائر أثينة ومبان
الأيام من
وفلسفة

ا أنه لا مجد لمن يتطلب المجد والربح إذا
م الفضيلة الذي يستحق أن يكون ذهبياً لأنه

ام. كثيراً ما يقع في يدك كتب تجتنب إدخالها الى بيتك لانها
سوى أنهم توخّوا منافعهم الشخصية بكتابة ما يقرب الى أذواق
شجّعين عليها وأقل ما يقال في اولئك المؤلفين أنهم لصوص –

والأدبية إنما تدل بتلك المؤلفات على سمو آدابها وعلومها كما أن الأمة الغنية
علاقها. وإذا كانت مؤلفات الأمة شاهدة عليها كان من واجب الأمة الاهتمام
ة انتشار مؤلفاتهم ورذل السافلين منهم ومنع صدور نفثاتهم – من واجباتها رفع
كانت الغاية من تأليفهم صدق الخدمة ولو قرنت تلك الغاية بالميل إلى الربح
فه الطبقة التي يكتب لها فإن كان يكتب للشعب فمن واجباته البساطة لأننا نعلم
ما أفادوا. والكتب التي تحتاج إلى منجمين وقواميس لحلّ كلماتها وجملها هي
الرئيسية من التأليف هي المنفعة العامة وكل كتاب لا نفع منه فضرره يفوق
بالفرع ويترك الأصل أو يهتم بالقشور ويترك اللباب.

كل مؤلفات علماء الاجتماع تدل على بساطة في التعبير لأنهم وهم يكتبون كأنهم
ينظرون إلى الحقيقة ويسعون إلى إفهام الجمهور في آن واحد فخدموا بذلك الحقيقة
قبلما خدموا نفوسهم.

الكتب الساقطة وناشر

ومن واجبات المؤلف خدمة الحقيقة. فإن المؤلف الذي تعميه الأغراض والأهواء فيسرد الحقائق كما يريد لا كما تكون ويؤول الأبحاث كما يرى لا كما هي، لهو أصغر من أن يرقى لعرش الفلسفة والعلم. خدمة الحقيقة واجب من أهم واجبات المؤلف وهذا الواجب يحتاج الى قوة التسلط على النفس والإرادة والإقرار بفضل الأعداء عند ثبوته، على أنك كثيراً ما تقرأ كتباً لمؤلف يتستر وراء الحقيقة فينظر إلى أغراضه وأحقاده التي لا يهتم الناس لمعرفتها ويكتب طاعناً قادحاً مع أن بحثه قد يكون طبياً أو علمياً فذاك يبرهن عن نفسه أنه منتقم أكثر مما يبرهن أنه مؤلف، بل هو يقيم الدليل على النقص في نضوج أفكاره. وكتاباته لا تستحق إقبال الناس وإعجابهم.

على المؤلف أن يرفع الناس ويسمو بعواطفهم وآدابهم لا أن يساعدهم على تقوية قواهم الحيوانية ـ على المؤلف أن يزيد شعور القراء لطفاً وحساسيتهم رقة، لا أن يثير براكين الشر والأحقاد في عواطفهم لاسيما إذا كان موسيقياً أو شاعراً – على المؤلف أن يخفف التعاسة والشر في الهيئة الاجتماعية لا أن يساعد العواطف الدنيئة على الظهور والعمل.

أنت أيها العامل
وتجهد قواك لت
هذا الربح فق
تيسّرت لك ك
الخبز تتحول م
إلى طلب المجد

لا تحسن عملك
ربح وتعيش من
ط. لكنك إذا
فاية يومك من
من طلب الخبز
لك ولقومك.

فإذا شرعت في التأليف فاعلم قبل كل شيء أهمية موضوعك ومقدار المسؤولية الملقاة على عاتقك ودرجة تأثير بحثك في أخلاق المجموع وتوخ النفع العام قبل النفع الذاتي والشهرة، وتحر الحقيقة في البحث والبساطة في التعبير فإن المؤلفات الأدبية والاجتماعية والطبية والعلمية هي أدلة على أخلاق الأمة ومقدار ارتقائها. وعلى الأمة مساعدة الحسن ونبذ الضار ليتمجّد النافعون فيقدمون على مشاق التأليف، ويعلم المؤلفون الذين يوجّهون الأنظار إلى أسفل أنهم أحطّ من الأمة التي يتوخّون تسميمها فيرجعون عن غيهم خاشين صاغرين.

صحافة المهاجر
البرا

سميرة عادل عثمان

من الشائع ربط السمات الشخصية للمهاجرين العرب (القادمين من المناطق التي تشكل اليوم سوريا ولبنان وفلسطين إلى البرازيل) بشخصية البائع المتجول. هذا الارتباط ليس خاطئاً بشكل كلّي، ولكن حين نجعل هذه الصورة محدودة بما تشير له من السمات (كالعصامية) فإننا نغفل جوانب هامة عن أولئك المهاجرين وعن تلك الهجرة.

إحدى هذه الجوانب تتعلق بفئة من المثقفين، إن جاز لنا أن نسميهم كذلك، أو على الأقل بأشخاص حصلوا على مستوى تعليمي عالٍ، مما أتاح لهم الانخراط في المجتمع المهجري بطرق أخرى. أطباء، معلمون، فقهاء لغويون، شعراء، كُتّاب، صحفيون، وبائعو كتب وجدوا بعضهم البعض في البرازيل، خاصة في ساو باولو وريو دي جانيرو، وتفاعلوا مع الأعضاء الناجحين في الجالية، كالصناعيين والتجار الذين حملوا لفترة طويلة وما زالوا يحملون الدعاية السائدة لأسطورة البائع المتجول الناجح. وبالطبع، لا يمكننا إغفال حقيقة أنّه إلى حدٍّ ما، كان هؤلاء المثقفون يعتمدون على دعم هؤلاء الصناعيين أو "الأعضاء الناجحين" وإن لم يكن هذا التعايش مريحًا دائمًا.

يتحدّث سليمان جورج في كتابه "ألبوم الجالية السورية-اللبنانية في البرازيل" عن مشروعه في جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بتاريخ هؤلاء الرواد المهاجرين، ويشير وديع صفدي في كتابه "مشاهد وسيناريوهات من طرق حياتي" إلى فشل تشكيل "المركز البرازيلي للثقافة العربية"، والسبب الذي أدّى لهكذا فشل هو كون أعضاء المركز، أو الإداريين منهم على الأقل، لم يتجاوزوا حالة كونهم تجارًا وكان جلّ تركيزهم على إنجازاتهم وانضمامهم للمركز كان بهدف الاستفادة بشكل أو بآخر من مشروع ثقافي لا يهمهم كثيرًا.

رين العرب في
زيل

رغم هذه العقبات، تعايشت هذه الطبقة المثقفة مع أعضاء الجالية الأكثر ثراءً، واعتمدت في كثير من الحالات على دعمهم لضمان ممارسة أنشطتها. وبينما كان النجاح الاقتصادي وتثمين العمل الجاد وتراكم الثروات يحظى بالتقدير من جانب، نشأ من جانب آخر اهتمام بتأسيس حركات اجتماعية، وجمعيات أدبية، ومراكز لدراسة اللغة العربية، ودور نشر ومطابع، والعديد من الصحف، وذلك بهدف الحفاظ على الثقافة العربية ونشرها وإطلاع البرازيل عليها.

يمكن القول تقريبًا أن الصحافة العربية ظهرت بالتزامن مع السنوات الأولى لهذه الهجرة. بالنسبة لوديع صفدي (1966)، كانت الصحافة سجلًا حيًا لوجود المهاجرين العرب في البرازيل، وإضافةً إلى أنها عكست مواقفهم السياسية والصراعات حول المشاريع المتعلقة بالدول التي ستنشأ بعد تحرير المنطقة من الحكم العثماني، ورغبتهم في التحرر أو النضال ضد الهيمنة الفرنسية، كانت الصحافة أيضًا وسيلة لنشر الأخبار، ومناقشة الأحداث الاجتماعية، والإعلان عن النشاطات والأعمال المتعددة لهذه الجالية التي كانت مواظبةً على تقديم نفسها بصورة إيجابية. بهذا الشكل وفي علاقة تكافلية، كانت الصحافة تتيح للبعض البقاء والاستمرار، وتوفّر لآخرين العرفان والهيبة الاجتماعية.

يعرض جورج صفدي في أطروحته للدكتوراه في التاريخ، والتي دافع عنها في جامعة ساو باولو عام 1972، قائمةً طويلةً من الصحف العربية التي انتشرت في جميع أنحاء البرازيل. تتضمن الأطروحة بعض المعلومات الموجزة مثل أسماء الصحف، وأخرى أكثر تفصيلًا مثل بيانات المالكين والمحررين والصحفيين؛ الأعداد، التوزيع، الفترة الزمنية والأسعار؛ التأسيس، الانتشار، الاندماج، والانقراض. لذا يمكننا بالتأكيد اعتبار أطروحته كتالوجًا قيّمًا للدراسات حول هذا الموضوع.

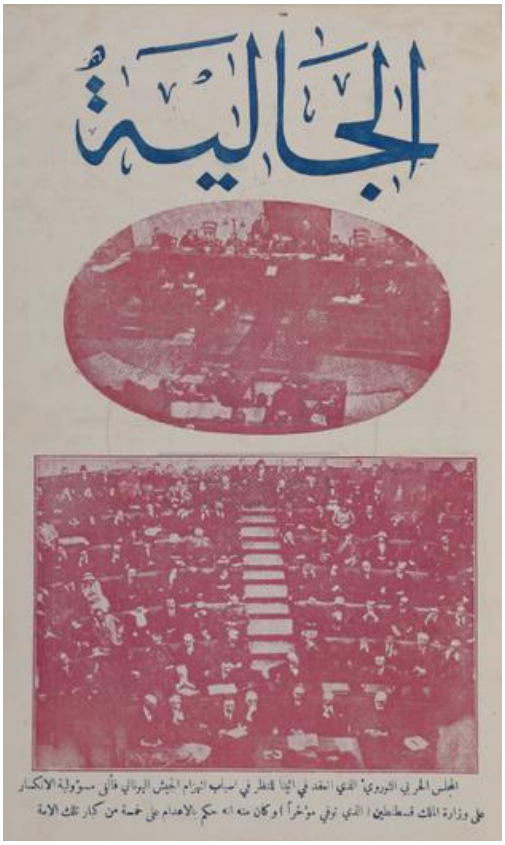

كان آل صفدي (وَديع، جميل، وجورج) هم من أبلغوا عن نشر أول صحيفة عربية في البرازيل: صحيفة الفيحاء، التي أسسها الأخوان سليم ودوايبس بالش، وصدر عددها الأول في 28 أكتوبر 1895 في مدينة كامبيناس. مع انتقال سليم بليح إلى مدينة سانتوس، واعتبارًا من 2 نيسان/أبريل 1896، أصبح اسم الصحيفة "البرازيل"، وضمت محررين وكتّابًا آخرين من بينهم أنطون نجار الذي اشترى الصحيفة ونقل مقرها إلى مدينة ساو باولو عام 1897 بعد وفاة المؤسس الأول. ثمّ بين عامي 1898 و 1902، انتقلت ملكيّة الصحيفة إلى قيصر إبراهيم معلوف، الذي باعها بدوره لسعيد أبو جمرة، فأصبح اسمها "الأفكار" واستمرت في الصدور حتى عام 1941.

بالرغم من كونها من بين الصحف الرائدة والوافرة العدد في ساو باولو، كانت الصحف العربية قصيرة الأمد؛ تظهر وتندمج ثم تُغلق؛ تنتقل بين المُلّاك والكتّاب، لكنها مع ذلك، حافظت على توجهها السياسيّ الأساسيّ. وإذا جمعنا عدد الصحف التي نشرتها الجمعيات الثقافية والرياضية والدينية إلى الصحف التي نشرها ناشرون مستقلون، يصل العدد الكلي إلى نحو مئة صحيفة. ومن الجدير بالذكر أنّه بين عامي 1900 و 1930، نُشرت في ساو باولو العديد من الصحف و منها: "الحرّيات" لجوزيه بدوي، "الوطن" لإبراهيم وإلياس فرح، "الجالية" لسامي الراسي، "سوريا" لإلياس مسرة، و"الوطن الحر" لأسعد بشارة.

وكما هو الحال في ساو باولو، احتضنت ولاية ريو دي جانيرو أيضًا الصحف العربية الرائدة، إذ نُشر فيها وحدها نحو ستين صحيفة، بما في ذلك في مدن أخرى- عدا عاصمة الولاية، مثل كامبوس ونيتيروي. ومن بين هذه الصحف: "الرقيب" التي كانت تصدر بين 1896 و 1898 تحت إدارة نعوم لبكي - الناشر أيضًا لصحيفة "المناظر" في ساو باولو - و "البريد" لجوزيه ناصيف ظاهر (بين 1908 و 1941).

إذًا لم يتوقف الأمر عند ساوباولو بل استضافت مدن برازيلية أخرى صحفًا عربية، ففي بيلو هوريزونتي، تم إنشاء صحيفة "المعري" في عام 1914 بفضل جهود نجيب قسطنطين حداد*، تلتها صحيفة "الاستقلال" التي أسستها الجمعية العربية عام 1910. وفي ماناوس بين عامي 1912 و 1917، و بيليم بين 1918 و 1925، نُشرت صحيفة "السهام" لجورج إسحاق يارد وكانت تُتداول في منطقة الشمال. أمّا في بورتو أليغري، فقد أسس أنطونيو زغبي صحيفة "الفوائد" عام 1909، وأسّس جوزيه نحاس وإلياس طربي صحيفة "الرقيب" عام 1919. كلّ هذا يدل على الانتشار الجغرافي لهذه الهجرة عبر الأراضي البرازيلية وكيف أن المشاركة السياسية والحزبية والأحداث المتعلقة بالوطن الأم استمرّت في كونها عاملًا للتآلف أو التخالف بين أبناء الجالية.

لقد كشفت أسماء الصحف عن التوجهات السياسية ونوايا تلك المنشورات، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال حقيقة أنه في البداية كانت تُنشر فقط باللغة العربية، مما جعل قراءتها محصورة بين من يجيدون اللغة والمتعلّمين. ومع ذلك، كان لهذه الصحف انتشارًا واسعًا، حيث وصلت إلى الوطن الأم وانخرطت في النقاشات التي كانت تدور هناك، لا سيما بسبب السياق التاريخي الذي كان يشهده العالم في ذلك الوقت. كان المهاجرون الرواد يغادرون أوطانهم لكنهم أبقوا على ارتباطهم بالأحداث الإقليمية والمحلية والعالمية، التي شملت الحرب العالمية الأولى (1914–1918)، مرورًا بتفكّك الإمبراطورية العثمانية (الذي انتهى في 1923)، وأيضًا الصراعات والتقسيمات الاستعمارية التي قامت بها فرنسا وإنجلترا في الشرق الأوسط، والمواقف المؤيدة للاستقلال والتحرر من أي قيد. تدريجيًا، أصبحت هذه الصحف ثنائية اللغة، عربية–برتغالية، وتنوعت في المواضيع التي تناولتها، حيث غطّت أيضًا الحياة والأعمال والنشاطات والتواصل الاجتماعي للمجموعات التي كانت تستقر بشكل متزايد في الوطن الجديد.

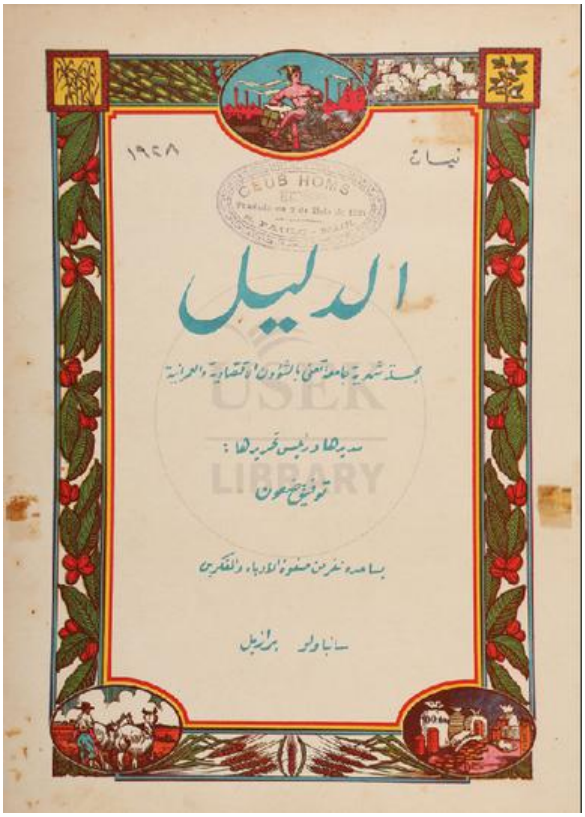

* تُعد قصة نجيب قسطنطين حداد من القصص الشهيرة. فقد وصل حداد إلى البرازيل بعد طرده من الولايات المتحدة وهروبه من الأرجنتين، حيث ادّعى أنه ولي عهد ألبانيا. وعلى الرغم من كونه صحفيًا نشطًا، إلا أن تصرفاته تسببت في مشاكل واسعة داخل الجالية العربية، من بينها قضية سيتم الكشف عنها لاحقًا من خلال مجلة "الجالية" (ملاحظة المحرر).

كانت بعض أسماء هذه الصحف، خاصة القديمة منها، عامّة وربما أيضًا شاعرية: "القلم الجديد"، و "الذكرى". أما البعض الآخر فقد عبّر عن مواقف سياسية وفلسفية مثل: "الإخلاص" و "الحرية" و "الاستقلال". تم أيضًا استخدام إشارات إلى وسائل الإعلام نفسها أو إلى مهنة الصحافة، بطريقة مباشرة أو مجازية: مثل "المجلة" و "المنبر". وكان البعض يسعى إلى تجسيد الدقة في النقد والهجاء مثل: "المنشار" و "الجحيم".

بعض العناوين تبدو غريبة وبلا معلومات إضافية، مثل: "العصا الصفراء" و "مشط الشعر". أيضًا كان هناك قلة عناوين تشير إلى عملية الهجرة مثل "مسامرات المهاجر" و "الجالية" ، وقلة تشير إلى الاستقرار في الوطن الجديد، مثل "البرازيل" و "البرازيل المصورة" و "أمريكا".

استحوذت القضايا الوطنية و نقاشات شكل الأمة والقوميات على حيز واسع في توجهات الصحف، واختلفت باختلاف توجه الصحف من داعم للاستقلال السياسي إلى داع للارتباط بالسلطنة العثمانية. وتنافس الناشرون بإظهار ميولهم للشرق أو العروبة وحتى جدلية الهوية وتشكيلها، وبعض الامثلة على ذلك يمكن أن نراها بعناوين الصحف المختلفة مثل "العثماني" للأخوين سليم وقيصر لبكي و "فتى الشرق" لموسى كُريّم و "العصبة الأندلسية" و "الرابطة العربية" التي كانت تُنشر من قِبل وفد العصبة العربية في البرازيل و "صوت العرب" و "صوت العالم العربي" التي كانت تُنشر حصريًا باللغة البرتغالية.

حمص
جريدة علمية ادبية اجتماعية
HOMS - SYRIE

كانت مسألة الدفاع عن استقلال سوريا ولبنان الذاتي موضوعًا للنقاش الحاد داخل الجالية، حيث انعكسَت هذه الأفكار في الصحف التي ناقشَت هذه القضايا ودافعت عن مواقف مختلفة. بعض الصحف ظلت مرتبطة بالصلّات المحلية والقبلية والدينية، كما يظهر من خلال الأسماء التي أخذتها والتي كانت تشير إلى مسقط رأس المهاجرين، في حين تجاوزت بعضها هذه الحدود مُستدعيةً عناصر أوسع وأكثر عمومية.

الاتحاد العربي

جريدة عربية أسبوعية سياسية اخبارية مستقلة اختصاصية باخبار الوطن

السنة الاول ● العدد الاول

امة الشرق !

عرب انتم !

بعد العقود الأولى التي شهدت وفرةً كبيرة في العناوين، المحررين، النقاشات، الأفكار، والجدليات، وصولاً إلى مئات الصحف والمجلات التي نُشرت بشكل أحادي وثنائي اللغة، أسفرت قضيتان عن انخفاض تلك الحيوية الثقافية والسياسية وبالتالي عن تقليص عدد المطبوعات المتداولة؛ أولى هذه القضايا كانت ذات طابع محلي برازيلي، وهي قانون حظر النشر باللغات الأجنبية خلال حقبة فارغاس، والذي كان ساريًا من عام 1941 إلى عام 1945 كإجراء مباشر ضد المهاجرين، أما القضية الثانية فهي نهاية الحرب العالمية الثانية والاستقلالات التي حدثت في لبنان وسوريا، مما وضع حدًا للنقاش الحاد والمتحمس حول المستقبل الذي أصبح حاضرًا.

وعليه فإنّ الصحف التي استمرت أو ظهرت لاحقًا اتخذت طابعًا أقل سياسية، وعلى الرغم من استمرارها في نقل الأخبار حول الأحداث في العالم العربي، إلا أنها فعلت ذلك بطريقة أقل التزامًا ودون اتخاذ مواقف كبرى؛ بدلاً من الطابع السياسي الأولي، تحولت الصحف والمجلات إلى مساحات لتغطية المواضيع الاجتماعية، الأحداث المجتمعية، الاحتفالات، المواضيع الثقافية والدينية، مبتعدة عن فكرة الوحدة الوطنية والانخراط في الهوية، لتصبح عمودًا اجتماعيًا للأثرياء الذين يحتفلون، يتزوجون، يموتون، يقومون بأعمال خيرية وإنسانية، ويروّجون لأنفسهم، ولكن هذه المرة بهدف كسب الأصوات في السياسة الوطنية.

نقطة أخرى تستحق أن نسلّط الضوء عليها ألا وهي الصحف والمجلات النسوية. ففي عام 1914، أسست سلوى سلامة أطلس مجلّة "الكرمة"، التي تُعتبر أول مجلة نسويّة عربية في البرازيل والأمريكتين. وُلدت سلوى في سوريا عام 1883، وتخرجت كمعلمة من المدرسة النسائية في حمص، كما أنها علمت أيضًا في زحلة. وصلت إلى البرازيل عام 1914 بعد زواجها من جورج ميخائيل أطلس (مؤسس مجلة الاتحاد العربي) وعملت ككاتبة وشاعرة، وخطيبة، بالإضافة إلى إدارتها للمجلة بين عامي 1914 و 1949؛ السنة التي توفيت خلالها.

سلوى أطلس

في هذا السياق أيضًا، فإنه لمن الواجب استذكار مجلة "مراحل"؛ واحدة من أبرز المجلات النسوية التي تأسست في عام 1954 بجهود ماريانا دعبول فاخوري المولودة في لبنان عام 1889، والتي أصبحت أرملة في سن السادسة والعشرين، وهاجرت مع ثلاثة أطفال إلى كوبا، ثم انتقلت إلى الأرجنتين حيث قابلت زوجها إلياس موسى فاخوري، واستقرت لاحقًا في البرازيل في عام 1940. كانت ماريانا من رائدات الصالونات الأدبية واهتمت بنشر الثقافة العربية في المهجر، وقادت المجلة حتى عام 1984، إذ تحولت حينها إلى "شمس"، واحدة من القلة التي صمدت جنبًا إلى جنب مع "العروبة".

مع الأسف وكما ذكرنا سابقًا، لم تعمّر العديد من الصحف؛ بعضها تلاشى سريعًا، وبعضها اندمج، فيما لم يترك معظمها أثرًا ماديًا خلفه. قلة قليلة منها بقيت كاملة، في حين ظلّ البعض الآخر متروكًا لغبار الزمن.

واحدة من هذه المحاولات الطموحة هي مجلة "الجالية" التي نُشرت بين عامي 1922 و1929، على يد عائلة الراسي، بقيادة سامي الراسي، الذي وُلد في عام 1880، ودرس في الجامعة الأمريكية في بيروت قبل أن يهاجر إلى البرازيل في عام 1900. أدار سامي الصحيفة حتى وفاته في عام 1927، ومن ثم تولى شقيقه بِني مسؤولية إدارتها. في عام 1929، بيعت الصحيفة للأخوين توفيق وسليم قربان، لكنهما أوقفا نشرها بعد شهرين فقط. على الرغم من قصر عمرها، فإن هذا المشروع يعود اليوم من خلال محاولات تسعى لتحديث نشر الثقافة العربية في البرازيل، ليس فقط بين الجالية وأبناء الوطن، بل لكل من يسعى للتعرف على هذا التراث والمساهمة في نشره.

المراجع والمصادر:

SAFADY, J. (1971). *A cultura árabe no Brasil, Líbano e Síria*. São Paulo: Safady.

_____. (1972). “A imigração árabe no Brasil 1880-1971”. São Paulo: Universidade de São Paulo.

SAFADY, W. (1966). *Cenas e cenários dos caminhos de minha vida*. Belo Horizonte: Santa Maria.

SOUZA, M. C. (2010). *A Imprensa Imigrante. Trajetória da Imprensa das Comunidades Imigrantes em São Paulo*. São Paulo: Imprensa Oficial.

ZEGHIDOUR, S. (1982). *A Poesia Árabe Moderna no Brasil*. São Paulo: Brasiliense.

سياقات تاريخيّ
القضيّة الفلسطين

"لا أشك في أنّ كل فلسطيني يفكر أو أولئك الذين هم مثلي خفف الحظ السعيد والامتياز من محنتهم، يعرفون بطريقة أو بأخرى أن جميع أوجه التشابه الحقيقية بين إسرائيل وجنوب أفريقيا تتزعزع في وعيه بشدة عندما يفكر بجدية في الفرق بين المستوطنين البيض في أفريقيا واليهود الفارين من معاداة السامية الأوروبية، فالضحايا في أفريقيا وفلسطين يتعرضون للجروح والندوب بنفس الطريقة تقريباً، على الرغم من اختلاف الجناة."
ادوارد سعيد*

غالبًا ما ترتبط المظاهرات الداعمة للقضية الفلسطينية في أنحاء العالم بالأنظمة الديمقراطية والأحزاب اليسارية والحركات المناهضة للإمبريالية، كما تتعاطف الدول التي كانت أو مازالت خاضعة للاستعمار سواء في افريقيا أو آسيا أو أمريكا اللاتينية حكوماتٍ وشعوب مع نضال الشعب الفلسطيني من أجل السيادة وتقرير المصير، وحسب إدوارد سعيد: "هناك تشابه لا لبس فيه بين تجارب العرب الفلسطينيين على يد الصهاينة وبين تجارب أولئك الناس السود والصفر والسمر على يد إمبرياليي القرن التاسع عشر الذين عاملوهم على أنهم وضيعون وبشر ثانويون."**

وعلى الرغم من ظهور الحركات المناهضة للاستعمار بنفس الفترة التي انتشرت فيها معاداة السامية في أوروبا، فإن الغرب الرأسمالي ذاته مُجبر على أن يعود بالذاكرة إلى الأعمال الوحشيّة التي يسعى دائمًا لطمس معالمها، بما فيها استعباد الأفارقة، وإبادة الشعوب الأصليّة في الأمريكتين، والمجازر المرتكبة بحقّ الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة ومخيمات اللجوء على مدى الـ 76 سنة الماضية على يد الصهاينة، الذين ارتبط اسمهم بشكل كامل بالاستعمار والعنصرية.

* ادوارد سعيد: الفلسطينيون متسامحون في منافيهم، تقديم وترجمة: د. نادية هناوي، أرشيف جريدة الصباح، 2024.
** الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها، ترجمة فؤاد عبد المطلب، دار شفق للنشر والتوزيع، طبعة 2019

ة لحركات دعم
يّة في البرازيل

لوسيانا غارسيا أوليڤيرا

ومع أنّ تأسيس دولة إسرائيل المدعومة أمريكياً ارتبط ارتباطًا وثيقًا بنهاية الحرب العالمية الثانية، بيد أن العنصرية كانت سمة بارزة في الانقسام الذي حصل بين اليهود والشعوب الأخرى المصنفة كأعداء لهم، ومن وجهة نظر حنة أرندت فإن مثل هذا الموقف العنصري لن يقود أتباعه إلى السّيادة بل إلى الفناء.

بالنسبة للصهيونية بتعدّد مكوناتها ومعانيها، فإنها اعتمدت تقليداً استعماريًا يتجلى بفرض السيطرة على منطقة ما، وتبنّت عبارة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ممهِّدة بذلك لاستعمار أرض فلسطين، حيث بدأت عملية الاستعمار عبر دعاية خبيثة مفادها أن الأراضي الفلسطينية هي أراضٍ خالية غير مأهولة بالسكان، وبالتالي اعتبرت اسرائيل باستمرار أنّ السّكان المحليين لهذه الأراضي غير ذوي أهميّة على الإطلاق، فمارست ضدّهم كل أساليب التمييز والقمع، مما يجعل الصهيونية مرتبطة بشكل كامل بالاستعمار والعنصرية.

مع كل ما تم ذكره آنفًا لم تحظ القضية الفلسطينية يومًا بإجماع حولها كافٍ للتغيير، ولكن تشهد ساحات العالم اليوم تضامنًا متزايداً وذلك بالتزامن مع الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل بحق فلسطينيّ غزة، حيث غصّت الشوارع والجامعات بالمتظاهرين في دول كانت تُعتبر تاريخيًا من أكبر الداعمين لإسرائيل وآلتها العسكرية، إذ وفي الآونة الأخيرة شهدت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا أكبر المظاهرات دعمًا للقضية الفلسطينية .

وبالحديث عن البرازيل على وجه الخصوص، فإنه ومنذ هجمات السابع من أكتوبر، عمّت المظاهرات الشوارع في مدن مثل ساو باولو وريو دي جانيرو وبورتو أليغري، كما استمرّت هذه المظاهرات مع تصاعد وتيرة عمليات الإبادة بحق فلسطينيّ غزة.

أما بالنسبة للحكومة البرازيلية، فقد تذبذب الموقف التقليدي لها بدعم القضية الفلسطينية وفقاً للطّيف السياسي لإدارتها، وفي هذا الصدد فإنه يبدو واضحًا أنه كلما كانت الإدارة ذات طابع يساري كلما زاد دعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وعلى العكس فكلما زادت التوجهات اليمينية كلما زاد الدعم لإسرائيل.

ويَظهر هذا الاختلاف الإيديولوجي بوضوح عند مقارنة السياسة الخارجية البرازيلية بين حكم لولا وحكم بولسونارو، على سبيل المثال، وعلى خلاف ما حدث خلال فترتي رئاسة لولا الأولى (2003ـ 2006 و 2007ـ2010)، فإن أول عمل دولي قام به الرئيس جايير بولسونارو هو محاولة نقل السفارة البرازيلية من تل أبيب إلى القدس معتبرًا بذلك أنّ القدس هي العاصمة الموحّدة وغير القابلة للتقسيم لإسرائيل، ويخالف هذا القرار بشكل مباشر قرار الأمم المتحدة الذي يرى القدس عاصمة مشتركة للدولتيّ إسرائيل وفلسطين مستقبلاً .

ومع ذلك لم يكن هكذا الحال دائمًا في البرازيل، فخلال عهد النظام العسكري في السبعينيات صوتّت الحكومة البرازيلية لصالح القرار3379 لعام 1975، والذي صنّف الصهيونية كشكل من أشكال العنصرية والتمييز. ونتيجة لدعم البرازيل لهذا القرار أصبحت البلاد مركز اهتمام الناشطين الأمريكيين المدافعين عن حقوق الإنسان، حيث ندّدت الصحافة العالمية بشدّة بعمليات التّعذيب والاعتقالات الإداريّة والإخفاء القسري للأشخاص في ظلّ الدكتاتورية المدنية العسكرية في البرازيل، ولعلّ أكبر مثال على ذلك هو مقتل الصحفي فلاديمير هيرزوغ والذي كان له تداعيات دولية واسعة ودلّ بوضوح على الاستبداد وانتهاك حقوق الإنسان في البرازيل في تلك الفترة.

وُلِد فلادو هيرتزوغ عام 1937 في أوسييك، في يوغوسلافيا سابقًا. كان صحفيًا وأستاذًا وكاتبًا مسرحيًا من أصل يهودي. كعضو ناشط في الحزب
الحاخام الأكبر لساو باولو، هنري سوبل، بعد رؤيته آثار التعذيب على جثته أثناء التحضير للدفن، قرر عدم إقامة المراسم في القسم المخصص لل

من جهة أخرى فإن الدول الداعمة لإسرائيل كانت معرّضة لخطر تعليق إمدادات النفط إليها خلال أزمة النفط الدولية لعام 1973، والتي تفاقمت بسبب حرب الغفران، حسب ما أشارت إليه نورما بريدا دوس (سانتوس، 2000)، وفي ذلك الوقت كانت البرازيل تعتمد بشكل كبير على النفط المستورد من الدول الخليجية المصدّرة له لضمان استمرار مشروعها التنموي المرتكز على تحديث الصناعة، حيث امتنعت سابقاً عام 1972 عن مقاطعة العراق بعد تأميم شركاته النفطية لضمان أمن إمدادات النفط إليها (سانتوس، 2000).

ومنذ ذلك الحين أصبح الدبلوماسيون البرازيليون أكثر صراحةً فيما يخص دعمهم للقضية الفلسطينية، ففي عام 1974 وخلال عهد الرئيس إرنستو جيزل، أكد علناً وزير الخارجية البرازيلي انطونيو فرانسيسكو أزاريدو دا سيلفيرا دعم البرازيل لاستقلال الدول الإفريقية الخاضعة للاستعمار البرتغالي، وأدان بشدة نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وعارض احتلال الأراضي الفلسطينية. وفي عام 1979، أصبحت البرازيل أول دولة في أمريكا اللاتينية يكون لديها ممثليّة لمنظمة التحرير الفلسطينية (PLO) على أراضيها في الوقت الذي اعتبرها الغرب فيه كيانًا إرهابيًا.

بين منتصف السبعينيات وأوائل الثمانينيات وخلال عهد النظام العسكري، شعرت الجالية العربية في البرازيل بالثقة الكافية لتأسيس أول منظمة تمثّل الشعب الفلسطيني في الشّتات وهي الاتحاد العربي الفلسطيني في البرازيل (FEPAL، فيبال).

الشيوعي البرازيلي، تعرض للتعذيب وقُتل على يد الديكتاتورية المدنية-العسكرية في ساو باولو عام 1975. أُعلن رسميًا أن وفاته كانت انتحارًا، لكن منتحرين وفقًا للتقاليد اليهودية. أثار هذا القرار ردود فعل واسعة وأدى إلى مبادرة عابرة للأديان شكّلت محطة بارزة في المقاومة ضد الديكتاتورية.

علاوةً على ذلك، وفي خضمّ الحراك السياسي لحركة "الانتخابات المباشرة الآن"*، دفع استمرار عملية التكوين السياسي للشباب العربي ـ المكوّن من أبناء الجيل الثاني من المهاجرين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين ـ مجموعةً تضم أكثر من 200 شاب إلى الاجتماع بشكل منتظم أيام الأحد في مقر الجمعية الفلسطينية في البرازيل، الذي أسسوه بأنفسهم، والواقع في شارع سينادور كيروز بوسط العاصمة ساو باولو. وبذلك، أصبحت تحركاتهم أكثر كثافة. كان معظم أعضاء هذه المجموعة، التي أطلق عليها اسم "سنعود"، يهدفون إلى تحويلها إلى جمعية رسمية تخضع لتوجيهات منظمة التحرير الفلسطينية.

يجدر بالذكر أن الاتحاد العربي الفلسطيني في البرازيل، بالتعاون مع شباب "سنعود"، نظّموا في أيلول/سبتمبر 1982 أوّل مظاهرة عامة كبرى في شارع باوليستا احتجاجًا على المجازر التي وقعت في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا (1982)، خلال الحرب الأهلية اللبنانية. وقد حظيت المظاهرة بدعم العديد من المجموعات من المجتمع المدني والأحزاب السياسية البرازيلية، مثل الاتحاد الوطني للطلاب (UNE) وحزب العمال (PT) إلى جانب مجتمع الشتات الفلسطيني والمجتمع العربي في البرازيل. وفي هذا السياق، استغل النشطاء السياسيون من "فيبال" و"سنعود" الزخم الناتج عن الصّدى الدولي الكبير لمجازر صبرا وشاتيلا، إلى جانب المطالبات الشعبية بحركة "الانتخابات المباشرة الآن!"، للترويج للقضية الفلسطينيّة باللغة البرتغالية للجمهور البرازيلي.

بحلول عام 1983 وخلال انعقاد المؤتمر الثالث للاتحاد الفلسطيني في فندق هيلتون في ساو باولو، تمكنت بعض القيادات من الشتات الفلسطيني أخيراً في إضفاء الطابع الرسمي على "جمعية سنعود الثقافية"، حيث تم تقديم رسالة رسمية إلى ممثل السلطة الفلسطينية في المؤتمر وهو السفير الفلسطيني في الكويت، وأدى تحوّل المجموعة إلى جمعية رسمية إلى إنشاء 14 فرع للجمعية في العديد من المدن البرازيلية، بما في ذلك مارينغا وفوز دو ايغواسو في ولاية بارانا، و ريسيفي في بيرنامبوكو، وبورتو أليغري في ريو غراندي دو سول، وغيرها.

واستمراراً لجهود دعم القضية الفلسطينية، فقد جمع مؤتمر كوبلاك** الثالث (1993) مجتمعات الشتات الفلسطيني من البرازيل وأمريكا اللاتينية في ساو باولو على الرغم من حساسية الوضع آنذاك، حيث أشارت شهادات بعض منظّميه إلى أن تنظيم فعالية فلسطينية خلال تلك المرحلة الاستثنائية، حتى مع وجود قرار الأمم المتحدة المناهض للصهيونية، كان يتطلب الكثير من الحذر وذلك لجمع قادة فلسطينيين وأحزاب يسارية صنفت من قبل النظام العسكري على أنها مخرّبة، وقد صرّح بعض منظّمو المؤتمر بأنهم اضطروا لدعوة بعض ممثلي النظام العسكري إلى حفل الافتتاح، مما أثار استياء الحضور. ولولا ذلك لكان من شبه المستحيل عقد مؤتمر كوبلاك الثالث رسميًا، وتضمن المؤتمر برنامجًا ثقافيًا مكثفًا وعروضًا للدبكة والعديد من النقاشات والمظاهرات الداعمة للقضية الفلسطينية.

وبالمثل في فبراير عام 1985، نظّم شباب "سنعود" اجتماعهم الأول للشّباب العربي الفلسطيني في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي في حرم جامعة ميثوديست في بيراسيكابا (UNIMEP) في ولاية ساو باولو، وقد كُرّس هذا الاجتماع لذكرى عملة مدينة الخليل السابق، فهد القواسمة، الذي اغتيل في الأردن على يدّ أحد الأشخاص المنشقين من منظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك لرئيس الجامعة، الياس بوفنتورا، الذي قاوم الضغوط لضمان انعقاد الاجتماع في حرم الجامعة. وفي النهاية تم إصدار "إعلان بيراسيكابا" الذي ناشد الحكومات العربية للوفاء بالتزاماتها تجاه منظمة التحرير الفلسطينية والقضية الفلسطينية.

وللمفارقة فإنّ جمعيّة "سنعود" توقّفت عن نشاطها عام 1987 وهو ذات العام الذي انطلقت به الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى، كما شهد العام الذي تلاه عمليّة التحوّل الديمقراطي في البرازيل.

أما في عام 1991، ومع نهاية الحرب الباردة، فقد تم إلغاء القرار المناهض للصهيونية الصّادر1975. وفي ظلّ هذه الأجواء المحبطة، فقد شهدت الفترة التي تلت توقيع اتفاقيات أوسلو للسلام عام 1993 موجة عنف شديدة، شملت مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل عام 1994، واغتيال رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين عام 1995، بالإضافة للتوسع الاستيطاني الكبير في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد انعكس هذا الواقع سلباً على النشاط السياسي للاتحاد العربي الفلسطيني في البرازيل الذي شهد تراجعًا حادًا بنهاية التسعينيات.

واستمر الوضع كذلك بدون أي برامج مخصصة حصريًا للدعم القضية الفلسطينية حتى منتصف العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، حيث عادت الحركة السياسية الفلسطينية إلى الواجهة في سياق سياسي واجتماعي جديد وضمن إطار مؤسساتي مختلف. وعلى خلاف الثمانينيات توسعت الحركة الفلسطينية البرازيلية لتضم اليوم جماعات فلسطينية كانت متعارضة فيما بينها. وما زالت المظاهرات في البرازيل كما في الماضي تشهد مشاركة عربية وفلسطينية إلى جانب مشاركة قطاعات متعددة من المجتمع المدني البرازيلي من أحزاب سياسية وحركات اجتماعية وجماعات مختلفة.

* حركة الانتخابات المباشرة الآن كانت حركة سياسية ذات طابع مدني طالبت بإجراء انتخابات رئاسية مباشرة.
** إتحاد الفيدراليات الفلسطينية في دول أمريكا اللاتينية والكاريبي (كوبلاك).

ومع انفتاح قنوات الحوار بين المجموعات المنظمة للحركات الداعمة لفلسطين والحكومة البرازيلية، تمت تلبية العديد من المطالب السياسية لهذه المجموعات، لدرجة أن بعضها أدى مؤخرًا إلى اعتبار الرئيس البرازيلي شخصًا غير مرغوب به في إسرائيل.

على أي حال فإن الحراك الفلسطيني البرازيلي، إلى جانب دعمه للقضية الفلسطينية، كان وما زال نشطًا للغاية في القضايا السياسية والاجتماعية البرازيلية، حيث دعم الاتحاد الفلسطيني العربي في البرازيل حركة "الانتخابات المباشرة الآن!"، وما زال يعمل مع حركة عمّال بلا أرض (MST)، كما يلتحق العديد من الفلسطينيين وأحفادهم بالأحزاب السياسية البرازيلية ويشغل بعضهم مناصب سياسية فيها.

وبذلك تعتبر حركة الجالية الفلسطينية في البرازيل جزءًا لا يتجزأ من تاريخ تشكل المجتمع البرازيلي، فموقفهم السياسي المدافع عن فلسطين لا يتعارض مع انخراطهم الكامل في المجتمع البرازيلي واعتبار أنفسهم مواطنين برازيليين.

المراجع والمصادر:

ARENDT, H. (2016). *Escritos Judaicos*. São Paulo: Amarylis.

OLIVEIRA, L. G. (2017). “A diáspora palestina no Brasil – A FEPAL: Trajetórias, reivindicações e desdobramentos (2000-2012)”. Dissertação (Mestrado)- Faculdade de Filosofia, Letras e Ciências Humanas da Universidade de São Paulo. Departamento de Letras Orientais. Área de concentração: Estudos Judaicos e Árabes.

SAID, E. (2011). *A questão da Palestina*. São Paulo: UNESP.

SANTOS, N. B (Org.). (2000). *Brasil e Israel – Diplomacia e Sociedades*. Brasília: Editora UNB.

VIZENTINI, P. F. (1998). *A política externa do regime militar brasileiro*. Porto Alegre: UFRS.

"السنة الثالثة للانتفاضة" ـ ملصق الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، 1991.
مجموعة علي قزق ـ الأرشيف الرقمي لمتحف فلسطين.

سياسة الموت البرازيلية

تسلّط الدكتورة نتاليا كلفت الضوء على قضية تزداد أهمية في الساحة السياسية والاجتماعية البرازيلية، ألا وهي صعود اليمين المتطرف في البرازيل واتصاله بالصهيونية من خلال الكنائس الخمسينية الجديدة، بقيادة جايير بولسونارو (الرئيس السابق) وحاشيته، من بين آخرين. علمًا بأنّ المقال التالي كانت قد تمّت كتابته بتاريخ 28 مايو/أيار 2020، خلال جائحة كوفيد-19، ولم يسبق نشره.

بحلول أيار/مايو 2020، تجاوزَ عدد الوفيات في البرازيل الـ 25,000 وفاة بسبب جائحة فيروس كورونا، بمعدّل وفيات يومي يقارب الألف وفاة، وبدأت دراسة تطبيق الحجر الكامل في المدن الكبرى. وعلى الرغم من ذلك، كان الرئيس البرازيلي (آنذاك) جايير بولسونارو ـ والذي كان قد أقال وزيريّ صحّة خلال شهر واحد ـ يَظهر بشكل متكرّر في التظاهرات المؤيدة للحكومة، مصافحًا أتباعه المتعصّبين، ومتجاهلًا الدعواتِ المتكررة للتباعد الاجتماعي. وبينما كانت بعض الدول قادرة ـ على مضض ـ على إعادة فتح اقتصاداتها واستعادة بعض مظاهر الحياة الطبيعية، كان على البرازيليين أن يجدوا طريقةً للتعامل مع سياسات الموت غير الطبيعية (Necro-politics) التي تُركوا لها.

في هذه الأثناء أصبحت الاحتجاجات، التي تروّج للتدخل العسكري وتعارِض الكونغرس والقضاء وتنادي بالإطاحة بالصحافة التقليدية جزءًا من المشهد السياسي في البلاد. ومع تصاعد الخطاب الإنكاري، دعت هذه الاحتجاجات إلى إقالة رؤساء البلديات والمحافظين المؤيدين للتباعد الاجتماعي والتطعيم. علاوةً على ذلك، فإنّ جايير ميسِّياس بولسونارو الذي يلقّبه مؤيدوه بالمسيح والذي لطالما كان مُحاطًا بأعلام الولايات المتحدة وإسرائيل خلال هذه التجمعات التي بدورها طالبت أسطورتها (بولسونارو) بسلطة تنفيذية مطلقة للقضاء على الفساد وإعادة ترسيخ القيم الأخلاقية والعائلية ووضع البرازيل "على المسار الصحيح".

ليس من المفارقة أن ماركس قد لاحظ مسبقًا أن التاريخ يعيد نفسه مرتين، مرةً على شكل مأساة، ومرةً على شكل مهزلة.

بلمسة صهيونية

نتاليا نحاس كارنيرو مايا كلفت

منذ بداية حكومته، أكّد بولسونارو مرارًا وتكرارًا على أهمية إسرائيل للبرازيل، مشيرًا إلى أنّه يتوجب على البلدين معاودة الاتصال. بالمقابل، بذل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو جهده ليكون حاضرًا شخصيًا عندما تولى بولسونارو منصبه في أوائل عام 2019، وفي تلك المناسبة، تلقى نتنياهو أعلى وسام برازيلي يُمنح للمواطنين الأجانب، وهو وسام الصليب الجنوبي (Cruzeiro do Sul): جائزة وطنية قُدمت سابقًا لنيلسون مانديلا، والملكة إليزابيث الثانية، وتشي جيفارا، والرئيس الأمريكي السابق دوايت أيزنهاور.

ومن الجدير بالذكر أنّ السفير الإسرائيلي في البرازيل آنذاك، يوسي شيلي، كان واحدًا من أكثر الدبلوماسيين تواجدًا داخل الحكومة البرازيلية، حيث ظهر بجانب الرئيس في العديد من الأحداث العامة. علماً أنه تاريخيًا لم تكن إسرائيل أبداً أقرب الدول الى البرازيل، إن كان على الصعيد التجاري أو الدبلوماسي. مع ذلك فإن البرازيل، التي تضم ثاني أكبر مجتمع يهودي في أمريكا اللاتينية (بعد الأرجنتين)، كانت من أوائل الدول التي دعمت رسميًا الاعتراف بدولة إسرائيل بعد إنشائها. وكان البرازيلي أوزفالدو أرانيا، هو من ترأّس الجمعية العامة للأمم المتحدة عندما تمت الموافقة على خطة التقسيم في عام 1947، فمنذ بواكير حملته الانتخابية، بدأ بولسونارو بالتودد إلى إسرائيل ورموزها اليهودية. وفي سعيه إلى جذب يمين المحافظين الإنجيليين البرازيليين الجديد، فإنّ التقارب المتطرِّف مع إسرائيل والداعم للتسلح هو شيء منطقيّ بالنظر إلى أن الصهاينة المسيحيين يعتقدون أن عودة اليهود إلى "أرض إسرائيل" تتوافق مع النبوءة المسيحية وضرورية للمجيء الثاني للمسيح. علاوةً على أنّ هذا الجزء من الإنجيليين البرازيليين يشترك مع المستوطنين اليهود في أجندة اجتماعية محافظة وعداء عميق تجاه الإسلام، كما يشرح عالم الأنثروبولوجيا البرازيلي ديفيد نيمر.

من ناحية ثانية وعلى مدار عقدين على الأقل، تم دمج الأيقونات والطقوس والملابس والرموز اليهودية في الطقوس البروتستانتية الإنجيلية البرازيلية، وخصوصًا في الكنائس الخمسينية الجديدة. يتم ذلك باستخدام التدبيرية (التي تؤكد على استمرارية العلاقة بين الكنيسة واليهودية)، التوفيق بين الأديان، الترميق، وعولمة الدين وذلك وفقًا لمارتا فرانسيسكا توبيل، عالمة الأنثروبولوجيا من مركز الدراسات اليهودية بجامعة ساو باولو. كما وتتميز الكنائس المسيانية البرازيلية، التي تضاعفت في السنوات الأخيرة، بهندسة معمارية خاصة وبأسماء مكتوبة بالعبرية عند مدخل المعابد. ولا ننسى أنّه وعلى الرغم من الانتقادات العديدة الموجّهة من قبل الحاخامات الأرثوذكس، فإنّ رئيس الاتحاد الإسرائيلي في البرازيل (Conib)، كلاوديو لوتنبرغ، قد حضر حفل افتتاح معبد سليمان وأثنى عليه.

بالإضافة إلى ذلك، تنظم تقريبًا الكنائس الإنجيلية جميعها رحلات متكرِّرة إلى إسرائيل لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية واليهودية. ومع أنّ رحلات القساوسة الإنجيليين البرازيليين إلى الأرض المقدسة بدأت في أوائل الخمسينيات، إلا أن السياحة الإنجيلية الجماعية ازدادت بشكل كبير في العقدين الأخيرين. ومن اللافت، كما يشير ماجنو باجانيللي (2019)، أنه على الرغم من أن هذه الرحلات تُستخدم كأدوات لإثارة المؤيدين والسفراء الذين قد يقدّمون سردية تخدم مصالح الدولة الإسرائيلية، فإن البيانات التي تم جمعها من هذه الرحلات تُظهر عكس ذلك.

يمكن جمع العديد من الأمثلة على هذا الشكل من الصهيونية المسيحية؛ وفقًا لصحيفة "فوليا دي ساو باولو" البرازيلية، في عام 2014، وخلال مقابلة مع الاتحاد الإسرائيلي في ريو دي جانيرو، أكد وزير الكنيسة سيلاس مالافايا قائلًا: "بالنسبة لنا، إله إسرائيل هو إلهنا. لا يوجد أي فرق على الإطلاق." وفي عام 2017، خلال "مسيرة من أجل يسوع"، صعد دوري غورين، القنصل العام الإسرائيلي في ساو باولو، على منصة كهربائية تحمل علامة "القدس، العاصمة الأبدية لإسرائيل". وتبعًا للحاخام ميشيل شليسنجر، من جماعة ساو باولو الإسرائيلية فإن "المفتاح لفهم هذا النهج هو 'العلاقة العميقة مع إسرائيل' إنهم يعترفون بشرعية السيادة الإسرائيلية على الأرض الموعودة، مما يعني أنه قد تكون هناك أجندة مشتركة".

عندما ادعى بولسونارو أنه ملتزم بترشيح وزير "متطرف بشكل فظيع" إلى المحكمة العليا البرازيلية ـ الأمر الذي حدث فعلاً بتعيينه أندريه ميندونسا في المحكمة ـ فإنه في الواقع كان يتحالف باستمرار وبتدريج مع اليمين المتطرف الإنجيلي العابر للحدود: أساس ناخبي ترامب.

إنّ العلاقة الخاصة بين الإنجيليين والحركة الصهيونية قديمة، وما فعله بولسونارو هو أنّه استغلّ تكتيكاتها التمويهية للحفاظ على النواة الصلبة المؤلّفة من داعميه. حيث تبنّى الرئيس السابق ـ ولا يزال ـ شكلًا من الشعبوية يقتات على الأزمات، ويراهن على سياسة المواجهة والانقسام للحفاظ على حراك قاعدة ناخبيه الأوفياء. حيث صرّح في 24 أبريل 2020 أنه: "لم يعد يريد التفاوض مع السلطات الأخرى في الجمهورية". وعدا عن اختياره (غير المفاجئ) لحلفائه المقرّبين، تُظهر روايته بوضوح ازدراءً لكل من المؤسسات الديمقراطية، سيادة القانون، المبادئ الديمقراطية، والبناء التوافقي.

على صعيدٍ آخر، أصدر الكونيب (اتحاد الجمعيات الإسرائيلية في البرازيل) بيانًا أعرب فيه عن قلقه بشأن "الاستخدام المستمر لأعلام إسرائيل في مظاهرات وتصريحات مرتبطة ببولسونارو"، محذرًا من أن ذلك "قد يرسل رسالة خاطئة حول التعددية داخل الجالية اليهودية البرازيلية". وأكد الكونيب التزامه العميق بالديمقراطية والحريات العامة، معربًا عن أسفه لرفع أعلام إسرائيل ـ التي يعتبرها "ديمقراطية حيوية" ـ في أحداث تهاجم المؤسسات الديمقراطية.

بولسونارو ونتنياهو

المصدر: كارتا كابيتال

ç من جانبها، غردت منظمة "اليهود من أجل الديمقراطية" عبر حسابها على تويتر قائلة: "العلم الإسرائيلي في مظاهرة ضد الديمقراطية لا يمثل القيم اليهودية! أي وطنية تلك التي تلوح بالأعلام بينما تتجاهل آلاف القتلى؟ كفى من اختطاف الرموز!"

في المقابل، كان لرئيس نادي "هيبرايكا" في ريو دي جانيرو، لويس مايروفيتش، وجهة نظر مختلفة، حيث قال: "لا أرى أي ضرر في استخدام العلم، بل على العكس، [...] بالنسبة لليهودي، معرفة أن هناك من يدعمنا ويقف معنا هو أمر يستحق الترحيب ويدعو إلى الفرح". يُذكر أن بولسونارو قد ألقى خطابًا في هذا النادي عام 2017، أدلى فيه بتصريحات عنصرية ومعادية للمرأة وانتقد وجود اللاجئين في البلاد.

في الواقع، إن صورة إسرائيل لدى بولسونارو تتماشى إلى حد كبير مع "إسرائيل متخيلة"، تستبعد اليهود اليساريين أو المعادين للصهيونية في البرازيل، كما يجادل المؤرخ ميشيل غيرمان، إذ وفقًا له، فإن استخدام الرموز اليهودية هو نتيجة لرؤية حضارية يهودية-مسيحية، وهو نتاج وإعادة تأويل للفكر الأصولي المسيحي، عدا عن أنّه يفتقر إلى التشابه مع العنصر اليهودي الحقيقي. بناءً على ذلك، فإن "إسرائيل المتخيلة" التي قد يكون بولسونارو يتودّد إليها، ترتبط بمطالب محددة من اليمين المتطرف الجديد الذي بدوره ينظر إلى مكان أسطوري، سحري - أو غير موجود - ألا وهو إسرائيل المتّصلة بزمان متخيل، أو بالأحرى إسرائيل التي تستجيب لمتطلّباته السياسية.

مع ذلك كله، فإنّ هذا التهميش لإسرائيل الحقيقية لا يعني أن إسرائيل التاريخ هي بالضرورة تحررية - ولا أنها منفصلة عن لغة الأبارتهايد. وبالطبع لا يمكن إنكار وجود يهود مناهضين للاحتلال في إسرائيل، لكن الشعار الذي يوحِّد اليمين المتطرف الجديد مبنيٌّ على القمع، ورفض حق تقرير الفلسطينيين لمصيرهم، فضلًا عن ترسيخ القوانين والسياسات والممارسات، التي وفقًا للأمم المتحدة تُشكِّل جريمة الأبارتهايد المتجليّة حاليًا كإبادة جماعية ضد الشعب الفلسطيني.

لنعد الآن لفبراير من العام 2017 حينما صرّح بولسونارو قائلًا: "لا يوجد شيء اسمه دولة علمانية. الدولة مسيحية، ومن يعارض ذلك من الأقليات عليه أن يرحل. سنبني البرازيل من أجل الأغلبية. وعلى الأقليات أن تنحني للأغلبية. إما أن تتكيف أو أن تختفي ببساطة". لا شكّ بأن تصريحه هذا يظهر ازدراءً تامًا لقاعدة الأقليات لنسيب نيكولاس طالب، التي تقول إن الأقلية المتعصبة هي من تحدد السلطة، مما يعني أن بولسونارو فهم الأمر بشكل معكوس تمامًا، الشيء الذي من شأنه أن يدلّ على الكثير، برأيي.

وبالتدقيق، نجد أنّ روحًا مشابهةً لهذه تُوجد في قانون عام 2018 الإسرائيلي، الذي يعلن أن البلاد هي دولة-أمة يهودية بشكل رسمي ويحتفظ حصريًا للشعب اليهودي بحق تقرير المصير – وهو ما يعرفه الفلسطينيون عمليًا منذ عقود. ينص قانون دولة الأمة على أن: "حق ممارسة تقرير المصير الوطني" في إسرائيل هو "حق حصري للشعب اليهودي"، ويُحدد العبرية لغة رسمية لإسرائيل، مُقللاً من مكانة العربية إلى "وضع خاص"، كما يُقِر "تنمية المستوطنات اليهودية كقيمة وطنية"، مما يُطبِّع الاحتلال، إذ يعتقد أنّه من واجب الدولة "أن تعمل على تشجيع وتعزيز إقامتها وتقويتها". نجد أيضًا هذه الروح في وصف نتنياهو القائمة المشتركة، وهي تحالف من الأحزاب السياسية العربية، بأنها "طابور خامس يدعم الإرهاب"، وذلك في عام 2019.

علاوةً على استيلائه المتكرر للعلم الإسرائيلي، استخدم الرئيس البرازيلي آنذاك لغةً مروعة، خلال خطاب رسمي في 24 مارس 2020، واصفًا فيروس كورونا بـ"الهستيريا" و"زكام بسيط أو إنفلونزا خفيفة" و "وهم".

أسلوب البرازيل في عام 2020 من "L'État c'est moi" (الدولة هي أنا) كان "أنا الدستور" لبولسونارو في 20 أبريل. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان هناك فيض من القواعد والمرجعيات النازية؛ ففي 16 يناير 2020، تمت إقالة وزير الثقافة الخاص في ذلك الوقت، روبرتو ألفيم، بعد نشره فيديو على وسائل التواصل الاجتماعي اقتبس فيه أجزاء من خطاب جوزيف غوبلز في ألمانيا النازية عام 1933 على أنغام موسيقى ريتشارد فاجنر. أيضًا في 22 أبريل، قارن وزير الخارجية إرنستو أراوجو العزلة الاجتماعية بمعسكرات الاعتقال النازية، كما كتب على صفحته الشخصية أن جائحة كورونا تُستخدم لتنفيذ خطة شيوعية، أُطلقَ عليها اسم "الفيروس الشيوعي". في مناسبة أخرى وتحديداً في 9 مايو، قام فيليبي كروز بيدري، الذي كان يعمل في مكتب فلافيو بولسونارو (أحد أبناء بولسونارو) والذي كتب البيان التأسيسي للحزب الذي أطلقه جايير بولسونارو "التحالف من أجل البرازيل" بنشر تغريدة على التويتر، قال فيها: " 'ابق في المنزل' هي Heil Hitler الجديدة!". في اليوم التالي، نشرت الأمانة الخاصة للاتصال الاجتماعي (SECOM) في الحكومة الاتحادية رسالةً على وسائل التواصل الاجتماعي تقول: "العمل، الوحدة، والحقيقة سيحرِّرونكم"، وهو مشابهٌ لشعار أوشفيتس "Arbeit macht frei" (العمل يحرّر).

ولا عجب أنّ الموجة المتزايدة من المظاهرات المتعصّبة، بما في ذلك التصريحات النازية،لا تبدو مزعجةً لنتنياهو؛ حيث إن الصهاينة المسيحيين يشاركون إسرائيل الاهتمام في حركة الاستعماريدعمون ماليًا مشاريع الاستيطان والضم الإسرائيليفي ما يسمى "الأرض التوراتية" في الضفة الغربية.

من جهةٍ أُخرى، وسعيًا لتحقيق مزيد من التوافق مع السياسة الخارجية للولايات المتحدة، أعلن الرئيس جايير بولسونارو ونجله، النائب إدواردو بولسونارو، في أغسطس 2019 أنهما يعتزمان تصنيف حزب الله، والجهاد الإسلامي، وحماس كمنظمات إرهابية، بالإضافة إلى الانسحاب من المشاركة البرازيلية في عملية حفظ السلام في لبنان ـ حيث كانت القوات المسلحة البرازيلية تقود مهمة القوة البحرية التابعة لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (UNIFIL) منذ عام 2011. هذا الموقف، إلى جانب الحملة التي وعدت بنقل السفارة البرازيلية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس، يبتعد أيضًا عن التقليد المحلي للسياسة الخارجية المستقلة.

ما أقصده بذلك أنّه تاريخيًا، سعت البرازيل لبناء أجندة دولة تقوم على السلمية، والحوار، والاستقلال، فضلاً عن احترام وتفوق حقوق الإنسان والقانون الدولي. وبالنسبة للشرق الأوسط ومناطق أخرى فقد اعتمدت السياسة الخارجية البرازيلية الحياد، واحترام السيادة وتقرير مصير الشعوب، بالإضافة إلى تعزيز قرارات الأمم المتحدة. تاريخيّاً أيضًا، كان بناء التوافق والتوازن والاستقلال الوطني وتقرير المصير للشعوب وعدم التدخل، بمنزلة البوصلة التي توجه للدبلوماسية الدولية البرازيلية، لا للأحادية البغيضة والتبعية للحكومات الأجنبية.

ولا بدّ لنا من الاعتراف بأنّ التماشي التلقائي الحالي مع الولايات المتحدة وإسرائيل ضار للغاية في ما يتعلّق بشرعية البلاد في العالم، إذ إنه يهدم جهودنا الدبلوماسية ومصداقيتنا الخارجية ـ ناهيك عن الخسائر التجارية والاستثمارية مع الشركاء العرب والمسلمين.

أسلوب البرازيل في عام 2020 من "L'État c'est moi" (الدولة هي أنا) كان "أنا الدستور" لبولسونارو

في بيان مشترك، أكد الرئيس البرازيلي السابق فرناندو أنريك كاردوسو، ووزراء الخارجية السابقون مثل سيلسو أموريم وجوزيه سيرا، إلى جانب حسين كالوت، السكرتير الخاص السابق للشؤون الاستراتيجية في الحكومة البرازيلية، أن السياسة الخارجية الحالية تنتهك بشكل منهجي المبادئ التوجيهية للعلاقات الدولية للبرازيل كما هو محدد في دستور عام 1988. كما أكدوا فيالمقالة التي نُشرت في صحيفة "او إستاودو دي ساو باولو" البرازيلية أن السياسة الخارجية الجديدة "تتناقض مع المبادئ الدستورية نصًا وروحًا" وأنه يجب على البرازيل أن تنخرط في سياسة دولة، وليس في "عمل فئوي يهدف إلى إثارة الأوضاع وتأجيج تحيزات الأقلية المظلمة والرجعية".

إن التشابه اللافت والإشارات المباشرة إلى أسلوب العمل النازي-الفاشي قد تخدع المراقب ليظن أن هناك خيطًا رفيعًا بين معاداة السامية ومعارضة الصهيونية. ففي النهاية، هذه هي استراتيجية التحريف التي تُستخدم غالبًا. لكن لا ينبغي لنا أن ننخدع. فإن التماشي الجديد لليمين البرازيلي مع إسرائيل وحكومات يمينية متطرفة أخرى حول العالم هو جزء من أجندة أيديولوجية عابرة للحدود. وهذا الخلط المتعمّد بين اليهودية وإسرائيل يخدم أيضًا مصالح نتنياهو.

أمّا بالعودة للوقت الحالي، فإنّ الحكومة الإسرائيلية لا تفرض حالة عسكرية فحسب، بل إنها تُديم الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني، وهي إبادة تم التصريح بها بشكل علني بعد هجمات حماس في 7 أكتوبر 2023. فضلا عن الترويج المستمر للهجمات من الجنوب اللبناني.

وكظاهرة أوسع، تعكس "البولسونارية" استجابةً لمختلف المطالب في المجتمع البرازيلي ولا يقتصر الأمر فقط على الصهيونية المسيحية، فلليمين أوجه عديدة، متطرفة وغير متطرفة، وهو يحتضن العديد من العناصر مثل المواقف المناهضة لحزب العمال (PT)، والأزمات الاقتصادية والسياسية السابقة، والتهديد بالانحطاط الأخلاقي.

ومع ذلك، فإن التحالف بين اليمين المتطرف الإسرائيلي، وترامب، وبولسونارو والعديد من المستبدين الآخرين يحدث تحت محور دولي أوسع للتوجه نحو الاستبداد. وعلى حساب الفلسطينيين، يستغل هؤلاء القادة أجنداتهم السياسية الخاصة ويدعمون قواعدهم المحلية، مما يعزز التحالف العالمي ويدعم إسرائيل كمنارة للديمقراطية والتقدم حسب وصفهم. مشروعٌ كهذا يعمل على تطبيع العنف من خلال نزع الإنسانية عن الآخر. وبينما حاول اليهود اليساريون البرازيليون والإنجيليون التقدميون فصل صورتهم عن بولسونارو وأجندته اليمينية المتطرفة، تستمتع الحكومة الإسرائيلية بمجموعة التعبيرات الواردة في هذا المقال والتي ساهمت في تعزيز تطبيع الاحتلال.

ختامًا، إنها الأعمال الصهيونية المعتادة ولكن مع مكافأة لاتينية!

المراجع والمصادر:

ADGHIRNI, S. (2019). Governo Brasileiro Estuda Classificar Grupo Libanês Hezbollah como Terrorista.. Disponível em: <https://www1.folha.uol.com.br/mundo/2019/08/governo-brasileiro-estuda-classificar-o-grupo-libanes-hizbullah-como-terrorista.shtml>

BAEZA, L. (2018). Israel se Define como "Estado-Nação Judeu" e Minoria Árabe Protesta contra "Apartheid". Disponível em: <https://brasil.elpais.com/brasil/2018/07/19/actualidad/1531973268_687632.html>

BALLOUSSIER, A. V. (2018). "Conexão com Israel" explica estranha ligação entre judeus e evangélicos". Disponível em: <https://www1.folha.uol.com.br/mundo/2018/01/1948632-conexao-com-israel-explica-estranha-ligacao-entre-religioes.shtml>

BARRUCHO, L. (2020). Por que a bandeira de Israel em atos pró-Bolsonaro 'racha' comunidade judaica. Disponível em <https://www.bbc.com/portuguese/brasil-52579809>

CALGARO, F.; MAZUI, G. (2019). Bolsonaro diz que vai indicar minsitro "Terrivelmente evangélico" para o STF. Disponível em: <https://g1.globo.com/politica/noticia/2019/07/10/bolsonaro-diz-que-vai-indicar-ministro-terrivelmente-evangelico-para-o-stf.ghtml>

CARTA CAPITAL (2018). Bolsonaro em 25 Frases Polêmicas. Disponível em: <https://www.cartacapital.com.br/politica/bolsonaro-em-25-frases-polemicas/>

نسخة مقلدة من رأس بولسونارو استُخدمت في عرض أدائي من قبل جماعة Indecline: فوليا دي ساو باولو.

بولسونارو في فلسطين المحتلة
2019 (AFP)

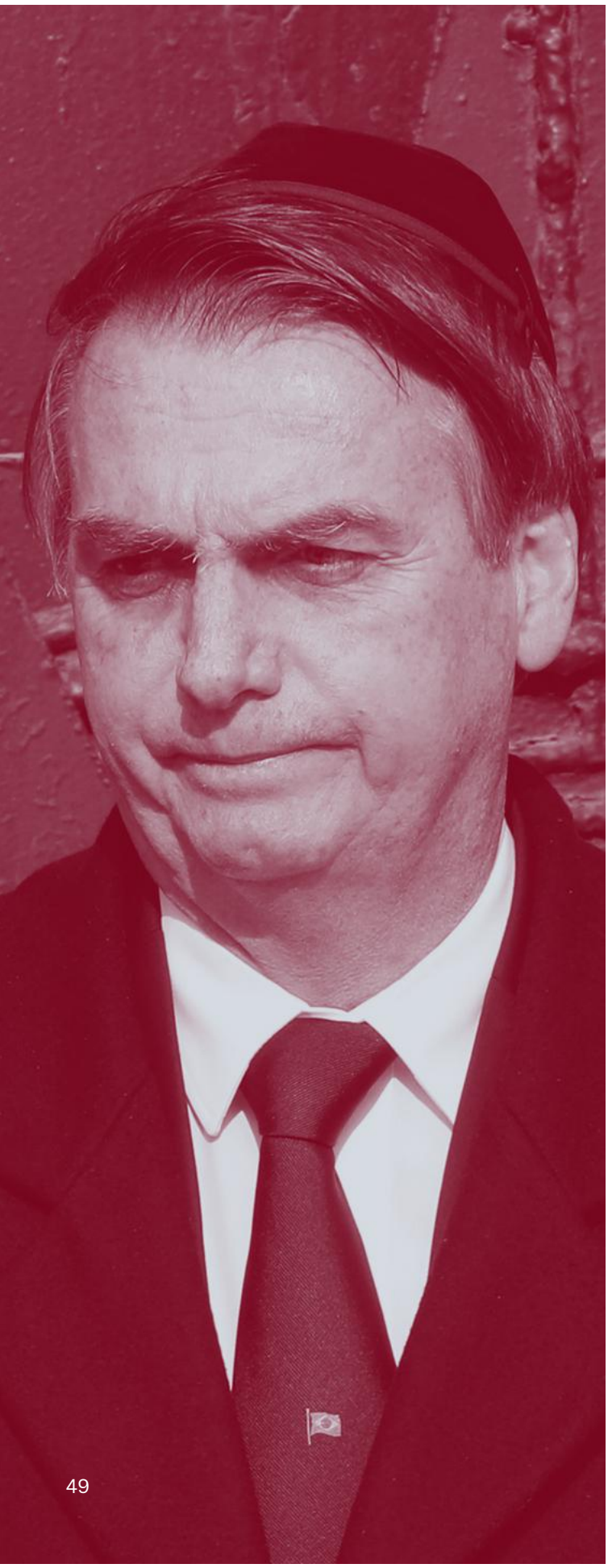

CARVALHO, D. (2020). Eu sou a Constituição, diz Bolsonaro ao defender democracia e liberdade um dia após ato pró-golpe militar. Disponível em: <https://www1.folha.uol.com.br/poder/2020/04/democracia-e-liberdade-acima-de-tudo-diz-bolsonaro-apos-participar-de-ato-pro-golpe.shtml> COLLETTA, R. D. (2019). Brasil deve Abandonar Força de Paz no Líbano. Disponível em: <https://www1.folha.uol.com.br/mundo/2019/08/brasil-deve-abandonar-forca-de-paz-no-libano.shtml>

ESTADO DE SÃO PAULO (2020). A Reconstrução da Política Externa Brasileira. <https://www.estadao.com.br/politica/a-reconstrucao-da-politica-externa-brasileira/>

FORUM (2020). Autor de manifesto do partido de Bolsonaro compara "Fica em casa" com saudação a Hitler. Disponível em: <https://revistaforum.com.br/politica/2020/5/9/autor-de-manifesto-do-partido-de-bolsonaro-compara-fica-em-casa-com-saudao-hitler-74713.html>

G1. (2019) Netanyahi e mais 10 chefes de Estado ou de governo participam da posse de Bolsonaro. Disponível em: <https://g1.globo.com/politica/noticia/2019/01/01/benjamin-netanyahu-e-outros-chefes-de-estado-participam-da-posse-de-bolsonaro-em-brasilia.ghtml>

HARKOV, L. (2019). Right-Wing Block Assails “Dangerous” Arab Jint List-Backed gov’t. Disponível em: <https://www.jpost.com/Breaking-News/Netanyahu-Arab-backed-government-is-Irans-Hezbollahs-and-Hamas-dream-608207>

LIPKA, M. (2014). Strong Support for Israeli in U.S. cuts across Religious Lines. Disponível em: <https://www.pewresearch.org/short-reads/2014/02/27/strong-support-for-israel-in-u-s-cuts-across-religious-lines/>

_____. (2013). More white Evangelicals than Amercian Jews say God gave Israel to the Jewish People. Disponível em: <https://www.pewresearch.org/short-reads/2013/10/03/more-white-evangelicals-than-american-jews-say-god-gave-israel-to-the-jewish-people/> MAZUI, G.; BARBIÉRI, L. F. (2019). Bolsonaro condecora Netanyahu com Ordem do Cruzeiro do Sul. Disponível em <https://g1.globo.com/politica/noticia/2019/01/18/bolsonaro-condecora-netanyahu-com-ordem-do-cruzeiro-do-sul.ghtml>
NEMER, D. (2020). O Brasil de Bolsonaro e Israel de Netanyahu: o perigoso uso dos evangélicos e da extrema-direita. Disponível em: <https://medium.com/@davidnemer/o-brasil-de-bolsonaro-e-israel-de-netanyahu-o-perigoso-uso-dos-evang%C3%A9licos-e-da-extrema-direta-494af498cd7e>
O GLOBO (2020). Referência ao nazista Goebbels derruba secretário da Cultura de Bolsonaro. Disponível em: < https://www.youtube.com/watch?v=61-99HUGbAs>
ROUBICEK, M. (2020). "A Israel Imaginária do Bolsonarismo está Longe da Realidade". Disponível em: <https://www.nexojornal.com.br/entrevista/2020/05/24/%E2%80%98A-Israel-imagin%C3%A1ria-do-bolsonarismo-est%C3%A1-longe-da-realidade%E2%80%99>
R7. (2014). Templo de Salomão é marco hsitórico para SP e para o País. Disponível em: <https://noticias.r7.com/brasil/templo-de-salomao-e-marco-historico-para-sp-e-para-o-pais-dizem-autoridades-presentes-em-inauguracao-01082014/>
SOUZA, M. P. A História Recente do Turismo Religoso Brasileiro e seu Papel no Conflito Israel-Palestina. Tese (Doutorado). São Paulo: FFLCH/USP, 2018.
TALEB, N. N. (2016). The Most Intolerant Wins: The Dictatorship of the Small Minority. Disponível em: <https://medium.com/incerto/the-most-intolerant-wins-the-dictatorship-of-the-small-minority-3f1f83ce4e15>
TOPEL, M. F. (2011). "A Inusitada Incorporação do Judaísmo em Vertentes Cristãs Brasileiras: Algumas Reflexões". Revista Brasileira de História das Religiões, 4(10). doi.org/10.4025/rbhranpuh.v4i10.30382
WHITE, B. (2017). UN Report: Israel has Established an "Apartheid Regime". Disponível em: <https://www.aljazeera.com/features/2017/3/18/un-report-israel-has-established-an-apartheid-regime>
X. (2020). @jpdoficial1, 03/05/2020. Disponível em: <https://x.com/jpdoficial1/status/1257031625877131268>]_. (2020).
_____. @SecomVc. 11/05/2020. Disponível em: <https://x.com/secomvc/status/1259680347962380290>

"لا يوجد شيء اسمه دولة علمانية. الدولة مسيحية،
ومن يعارض ذلك من الأقليات عليه أن يرحل."

الاستشراق

نشر لأول مرة في 1 أبريل 2024
https://institute.aljazeera.net/en/ajr/article/2619

في صبيحة 7 أكتوبر عام 2023، أفضت هجمات المقاومة الفلسطينية، التي خلّفت 1,139 قتيلًا، إلى تجدد العمليات العسكرية الإسرائيلية وتصعيدها على نحو غير مسبوق، بيد أنّ التغطية الإعلامية الغربية أمعنت في التركيز على "المعاناة" الإسرائيلية وحق إسرائيل ـ وهي دولة احتلال ـ في "الدفاع عن النفس"، وغضّت عديد وسائل الإعلام الغربية السائدة الطرف عن السياق المهم للعمليات وتفاصيل الضحايا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مقتل مدنيين إسرائيليين بسبب القصف الإسرائيلي على المباني التي احتُجزوا فيها. وتفشّت في وسائل الإعلام مزاعم عن قطع رؤوس 40 طفلًا إسرائيليًا قبل دحضها لاحقًا، وفي ذلك برهان جلي على انتشار المعلومات غير المؤكدة من مصادر إسرائيلية بلا حسيب ولا رقيب.

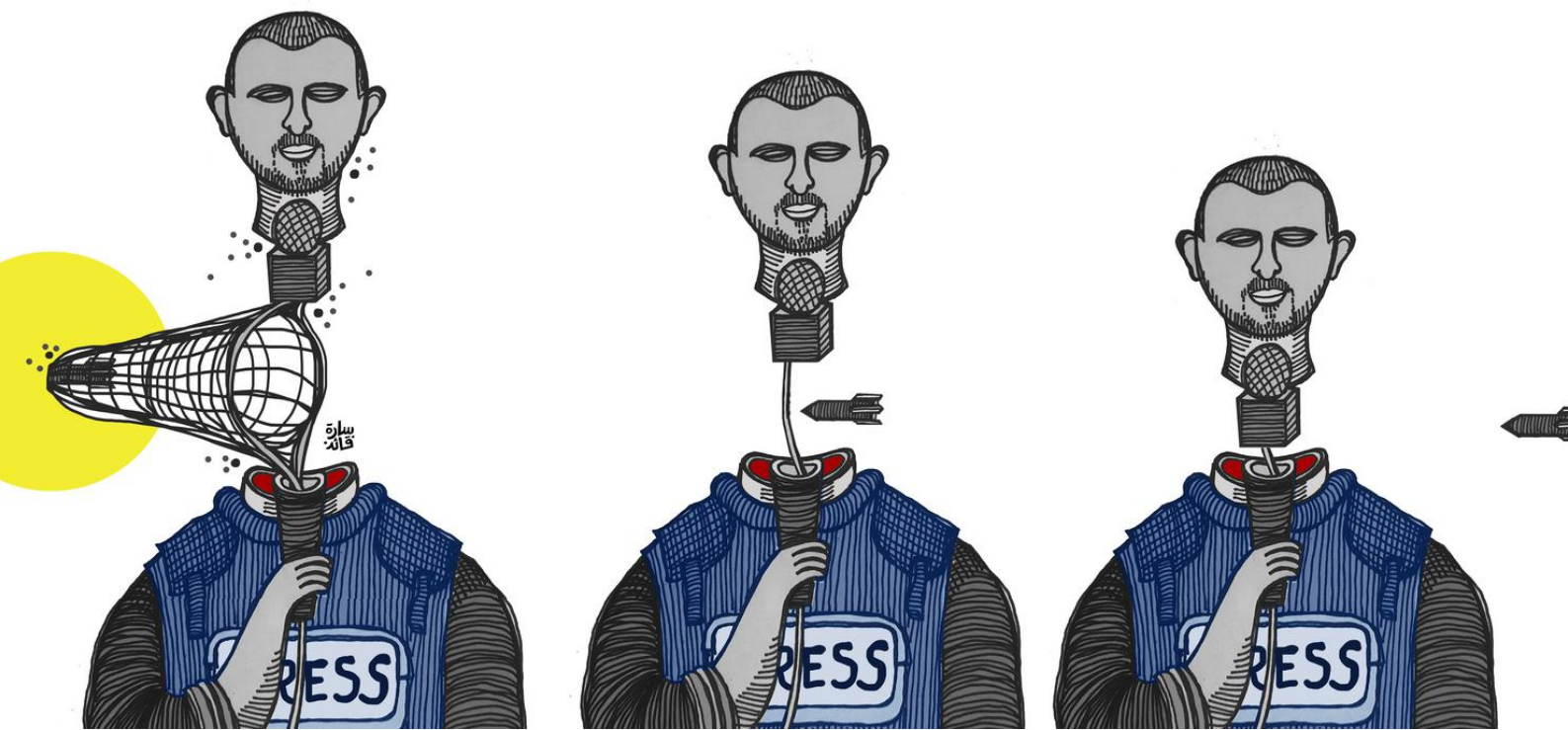

والإمبريالية

وجذور التحيّز في التغطية الغربية لفلسطين

جوزيف ضاهر

تبين الدراسات كذلك مدى التحيز الإعلامي الممنهج في الدول الغربية بحق الفلسطينيين؛ ففي حين يتواصل العنف الإسرائيلي في غزة بلا هوادة بحق المدنيين وحياتهم، تظل أمامنا أسئلة ملحة عن القوة المفرطة ودور وسائل الإعلام في صياغة الخطاب السائد؛ لذا تحاول هذه المقالة تقديم نظرة تأصيلية لجذور التحيز المرصود في وسائل الإعلام الغربية في تغطية الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وتأثيرها على آفاق إنهاء العدوان وحل الصراع وحصول الفلسطينيين على حقوقهم.

تغطية مبتورة

ما انفكت حملة الإبادة الجماعية التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي مستمرةً في قطاع غزة؛ فقد تعرض ما يربو على مليوني نسمة ـ أي أكثر من 90% من الغزّيين ـ إلى التشريد أو القتل جراء القصف والعدوان المتواصلين. وأوردت الأرقام الرسمية مقتل أكثر من 37 ألف فلسطيني، منهم ما يزيد على 15.000 طفل، وهو رقم يفوق عدد الأطفال القتلى في كل الحروب العالمية طوال السنين الأربع الماضيةً. لا ريب أنّ هذا العدوان المتواصل يعد نكبة جديدة أو كارثة مشابهة لما حدث خلال النكبة الأولى عام 1948؛ إذ أُجبِر 700 ألف فلسطيني على هجر منازلهم، وأُكرِهوا على مغادرة أرضهم ليصبحوا لاجئين.

تُمعن وسائل الإعلام الغربية في تركيزها على "المعاناة الإسرائيلية" و"الدفاع عن النفس" عقب هجمات حماس صبيحة 7 أكتوبر عام 2023، التي أفضت إلى 1,139 قتيلا وفقا لبيانات السلطات الإسرائيلية. ويتوزع هذا الرقم على النحو الآتي: 695 مدنيًا إسرائيليًا، و373 عنصرًا أمنيًا، و71 أجنبيًا. ويجدر التنويه إلى اشتمال ذلك الرقم على مدنيين إسرائيليين قتلهم جيش الاحتلال، ولا سيما عندما قصفت دباباته المنازل التي احتُجز فيها أولئك الأشخاص؛ فهذا تفصيلٌ جوهري قلّما ورد في تغطية وسائل الإعلام الغربية. وباشرت مقالات صحفية حديثة دحض الادعاءات الزائفة التي نشرتها وسائل إعلامية إسرائيلية من دون سابق تحقق، ثم تلقّفها الغرب مكررًا إياها؛ فقد تبين، مثلا، زيف التقارير الأولية التي زعمت قطع رؤوس 40 طفلًا إسرائيليًا، وهي مزاعم باطلة سرعان ما روجتها وسائل الإعلام الغربية والساسة الغربيون، ومنهم الرئيس الأمريكي جون بايدن. كذلك أبانت دراسات كثيرة تحيزًا إعلاميًا ممنهجًا بحق الفلسطينيين في شتى الدول الغربية.

من جهة أخرى، باتت ممارسات الصحافة البديلة من ميدان الحدث شبه مستحيلة؛ إذ دأب جيش الاحتلال الإسرائيلي على استهداف الصحفيين الفلسطينيين في قطاع غزة، وقتل أكثر من 140 صحفيًا فلسطينيًا منذ 7 أكتوبر حتى الآن.

تعامت وسائل الإعلام الكبرى عن واقع حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية المتواصلة بحق قطاع غزة، وبات نزع الأنسنة عن الفلسطينيين ملازمًا للاستعراض الإعلامي للحرب، وطغى الاستخفاف من آمالهم وفاعليتهم السياسية في أحيان كثيرة. ولو راجعنا التغطيات الإعلامية الغربية الكبرى، لرأينا السردية قاصرةً في تطرقها للأحداث على يوم 7 أكتوبر فقط، من دون توفير سياق واف أو سعي لتفسير تأزم الوضع على مدار السنوات الماضية. والملحوظ كذلك أن آراء الفلسطينيين أنفسهم عن السياق التاريخي قوبلت غالبًا بالمنع أو الطمس، ولا سيما حين يسعون لإبراز أسباب تلك الأحداث، وهو ما أكده الناشط الصحفي الفلسطيني معتز عزايزة، الذي نشر تغريدة حديثة بخصوص تساؤلات وسائل الإعلام الغربية الكبرى عن 7 أكتوبر، فقال فيها: "أجبت عن السؤال مرات عديدة لكنهم أهملوا الإجابة ولم ينشروها قط؛ فهم سجلوا مقابلتي واقتصوا منها كلاما ملائما لأجندتهم".

أسهمت الطبيعة المتأصلة للدولة الإسرائيلية بوصفها كيانًا استعماريًا استيطانيًا، وسياساتها على مر السنين، في استحداث الأحوال والظروف المسببة لأحداث 7 أكتوبر وما أعقبها، وهو الحال غالبًا لدى القوى الاستعمارية وقوى الاحتلال على مر التاريخ. لكن ثمة استسهال مفرط في تصوير 7 أكتوبر على أنّه "هجوم إرهابي" من دون توفير السياق التاريخي اللازم في حالات كهذه؛ فتُوصف الأفعال الإسرائيلية بحق غزة بأنها "دفاع عن النفس"، وتُعامل جرائمها بحق الفلسطينيين بقلّة اكتراث عامة.

لماذا تصر معظم وسائل الإعلام الغربية الكبرى على تبني السردية الإسرائيلية وإقرارها والدفاع عنها؟ ولم الميل نحو تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم والإفراط في لومهم على مسار الأحداث الراهنة؟ ما مصلحة المؤسسات الإعلامية الغربية الكبرى من مواصلة هذا النوع من التغطية؟

ترجع إجابات الأسئلة السابقة إلى الاستشراق والعنصرية والإمبريالية؛ فهي جميعها مترابطة، والصور والسرديات التي تروجها تلك الوسائل الإعلامية ليست بمعزل حقا عن المصالح الجيوسياسية والاقتصادية للنخب الحاكمة في الدول الغربية. فلا بدّ من إدراك أدقّ وأكثر اعتدالًا ـ يوفر مساحة مناسبة للصوت الفلسطيني ـ لفهم أصول هذا الصراع المعقد والطويل، وتغطيته تغطية إعلامية سليمة.

الوجه المتطور للاستشراق: مقاصد وغايات ثابتة

الاستشراق أيديولوجية جوهرية متأصلة في الفلسفة المثالية والمفاهيم الهيغلية التي تنص على أنّ مصير الناس مرهون بثقافاتهم وديانتهم القديمة. وأبصر مصطلح "المستشرق" النور عام 1779 في اللغة الإنجليزية، وعام 1799 في اللغة الفرنسية، وعني في بادئ الأمر بالدراسة اللغوية، ثم سرعان ما اقترن بالتوسعات الاستعمارية الإمبريالية الغربية في الشرق وأماكن أخرى من العالم. وما لبثت القوى الأوروبية أن وسعت نطاق تدخلها وغزواتها وهيمنتها على شؤون الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا في القرن التاسع عشر، فبرزت خطابات تصف الإمبراطورية العثمانية بأنها "رجل أوروبا المريض"، وتَسِمُ العرب بمصطلحات مثل "الإنسان الإسلامي". وما تزال فكرة الجوهر العربي/الإسلامي حاضرة في التحليل التقليدي والاستشراقي الجديد.

شهدت تلك المدة الزمنية تفوقًا جليًا لأوروبا على الإمبراطورية العثمانية والشرق عامة، سواء في النواحي الاقتصادية أو التقنية أو العسكرية أو السياسية أو الثقافية. واقترن هذا التفوق بالدين المسيحي (بحسب فهمه الغربي وممارساته الغربية) وانتكاسات العالم الإسلامي مع الإسلام. وهكذا ظهرت المسيحية في مظهر المُجارِي للتقدم، أما الإسلام فأُلبِسَ ثوب الرجعية ومناهضة التقدم؛ لهذا دُعيت أي مقاومة للنفوذ الأوروبي بأنها تعصب ديني ونبذ للحضارة.

لم يخلُ المشهد السياسي الغربي ووسائل الإعلام الغربية الكبرى من خطاب كهذا، وإنما تفاوتت حدته مع الزمن، ومن الأمثلة الجلية لهذا المنظور الاستشراقي خطابُ جوزيب بوريل، نائب رئيس المفوضية الأوروبية والممثل السامي للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية، الذي ألقاه في أكتوبر 2002 في الأكاديمية الدبلوماسية الأوروبية الجديدة في بروج؛ فخطاب بوريل يقدم أوروبا على أنها "بستان جميل" تسير فيها الأمور "على خير حال"، وتجمع في ربوعها بين "الحرية السياسية، والازدهار الاقتصادي، والتلاحم الاجتماعي التي حققتها الإنسانية كلها"، ثم ما يلبث أن يجاهر بخشيته من "بقية العالم الشبيه بالغابة، والقادر على التسلّط على البستان؛ فالبستانيون مطالبون إذًا بالذهاب إلى الغابة، والأوروبيون مطالبون بالانخراط أكثر في شؤون سكان العالم، وإلا فإنهم سيغزونهم بشتى السبل والوسائل". ولا ريب أنّ هذا الخطاب يتغاضى عن الصعود المستمر لليمين المتطرف في عموم أوروبا، وتفشي العنصرية والهجمات على الحقوق الديمقراطية والمهاجرين، وهلم جرًا.

لا عجب إذًا أن يُوظِّف المسؤولون الإسرائيليون والغربيون ووسائل الإعلام الكبرى مثل هذا الخطاب لتوصيف هجمات حماس في 7 أكتوبر بالبربرية، وتسويغ حرب منظورة في محكمة العدل الدولية بوصفها إبادة جماعية تشنها إسرائيل على سكان قطاع غزة؛ ففي أحد الأمثلة قال كاتب إسرائيلي في صحيفة جيروزاليم بوست: "يوم 7 أكتوبر؛ هزيمة للحضارة الغربية وانتصار للبرابرة [...] الغرب الحديث في مواجهة الجهاد الإجرامي الدموي". وفي مثال آخر قالت أورسولا فون دير لاين، رئيسة المفوضية الأوروبية: "إنّه شرّ قديم، وهو تذكرة لنا بالماضي المظلم وصدمة لنا جميعا حتى الصميم. يحق لإسرائيل الدفاع عن نفسها بمواجهة هذه الهجمات الشنيعة".

في خضمّ هذه الإستراتيجية تنامت لدى المسؤولين الإسرائيليين والغربيين ووسائل الإعلام الغربية الكبرى المقارنات بين داعش وحماس، كما حدث حين وصف لويد أوستن، وزير الدفاع الأمريكي، حماس بقوله إنّها "أسوأ من داعش". ولا شك في أنّ مساعي إسرائيل والحكومات الغربية لتشبيه حماس، والفلسطينيين عامة، بالإرهابيين والمنظمات الجهادية ليست حديثة العهد؛ ففي أعقاب هجمات 11 سبتمبر/ أيلول 2001، وصفت الطبقة الحاكمة الإسرائيلية حربها على الفلسطينيين خلال الانتفاضة الثانية بأنها "حرب على الإرهاب"، وتغاضى هذا التوصيف عن إدانة السلطة الفلسطينية وحماس لأفعال تنظيم القاعدة. كذلك دُعيت عمليات حماس التفجيرية في القدس المحتلة وأماكن أخرى في فلسطين التاريخية بأنها من "أوجه الإرهاب الإسلامي العالمي". وسبق ذلك كلام المسؤولين الإسرائيليين ومقارنتهم بين منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها وبين النازيين.

تدأب إسرائيل والمسؤولون الغربيون على الخلط بين حماس والجماعات الجهادية مثل داعش والقاعدة؛ فهذا جزء من إستراتيجية أشمل تعوّل على الإسلاموفوبيا لتسويغ الحرب على الإرهاب. وفي مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أيدت إدارة بوش حق إسرائيل في الدفاع عن النفس بمواجهة "الإرهاب الإسلامي"، وهو تصرف مشابه لأفعال الإدارة الأمريكية الحالية والدول الغربية.

من هذا المنطق تكون هزيمة حماس والقضاء عليها مسوغًا للحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، كما أبان الصحفي في صحيفة نيويورك تايمز بقوله: "حماس هي السبب الأساسي لمأساة قطاع غزة، وعليها وحدها وزر المعاناة التي ألحقتها بإسرائيل، واستجلبتها عمدا بحق الفلسطينيين؛ فالطريقة المثلى لإيقاف المعاناة هي اقتلاع المُسبب لا كفّ يد المقتلع". لهذا، يَسعُ المسؤولين الإسرائيليين والمعلقين الصحفيين المؤيدين لإسرائيل أن يزعموا أن أفعالهم دفاع عن النفس، بل وأن يدّعوا أيضا أنها لمساعدة الفلسطينيين باقتراف إبادة جماعية بحقهم.

يبدو هذا المنظور العنصري لدى وسائل الإعلام الغربية الكبرى متأصلًا في النظرة الاستشراقية للعالم والمنطقة بخاصة، بل ومتجذرًا في الديناميكيات السياسية الحديثة، ومنها الإمبريالية والاستعمار، والصراع الطبقي والجندر والعنصرية. ويأتي هذا الفهم مغايرًا لفهم إدوارد سعيد، المفكر الفلسطيني الشهير مؤلف كتاب الاستشراق؛ فسعيد لم ينتقد المثالية التاريخية بوصفها القالب الأساسي للجوهرانية الثقافية غير التاريخية في كتابه الاستشراق، وثمة ضرب من التتابع التاريخي المتسق في انتقاداته للاستشراق منذ عهد اليونان القديمة حتى وقتنا الحالي، وما من مراعاة للديناميكيات الطبقية، وديناميكيات الجندر، وما من ذكر للتاريخ، والمقاومة، ومشاريع تحرير الإنسان بحسب كلام إعجاز أحمد.

لذلك لا يعد الاستشراق ظاهرة بالغة الحداثة، وإنما وليد نزعة أوروبية قديمة وراسخة تسعى في بعض تمظهراتها إلى تشويه الحقائق بشأن الثقافات والشعوب واللغات الأخرى، وتكريس الذات الغربية المهيمنة. وعلاوة على الانتقادات البناءة لمؤلفين مشرقيين نقدوا الاستشراق مثل صادق جلال العظم، ومهدي عامل، وسمير أمين، وإعجاز أحمد، فإنه يُخشى في تناول إدوارد سعيد للاستشراق من مغبة الانزلاق إلى شكل من "الاستشراق المعكوس" كما أوضح العظم. في الواقع، كيف عسانا نفسر دفاع وسائل الإعلام الغربية عن سياسات إسرائيل المدمرة لولا أنها تصب في حماية مصالحها السياسية؟ حسنا يجري ذلك برؤية الأمور من منظور استشراقي.

جوزيب بوريل

إسرائيل عنصر مهم للنخب الحاكمة الغربية

ضمن إطار استشراقي نموذجي، وطوال عقود من الزمن، قدّم الحلفاء الغربيون ووسائل الإعلام الكبرى إسرائيل على أنها: "نبراس الديمقراطية والتقدم في محيط معادٍ يقطنه برابرة همجيون".

وروّج لهذه الدعاية قادةُ الحركة الصهيونية قبل إنشاء إسرائيل، ولا تزال هذه الدعاية مستمرة حتى يومنا الحالي على لسان المسؤولين الإسرائيليين. ولو عدنا بالزمن إلى قبل النكبة وقيام إسرائيل عام 1948، لوجدنا تيودور هرتزل، المنظر الأيديولوجي للحركة الصهيونية، يصف الدولة اليهودية المستقبلية بأنّها ستكون "طليعة الحضارة بمواجهة البربرية الهمجية"، وهو بذلك يدعو لتمكين سكان أوروبيين بمعظمهم، وأصلهم يهودي، على أرض غالبية سكانها من العرب، وهي فلسطين في هذه الحالة.

في الوقت الراهن يتداول المسؤولون الإسرائيليون هذا الخطاب؛ فرئيس الوزراء نتنياهو صرّح في خطاباته عقب 7 أكتوبر بالآتي: "لا تخوض إسرائيل حربها فحسب، وإنما تخوض حرب الإنسانية بمواجهة البرابرة"، و"حلفاؤنا الغربيون وشركاؤنا في العالم العربي يدركون تمامًا أنّهم الضحايا اللاحقون في حملة القتل والغزو لمحور الشر إن أخفقنا في الانتصار". كذلك ادعى إسحاق هرتزوغ، الرئيس الإسرائيلي، أن غاية الحرب على غزة هي "إنقاذ الحضارة الغربية"، وأن إسرائيل "تعرضت لهجوم من جماعة جهادية"، ولولاها "لكانت أوروبا هدفا تاليا ترفها الولايات المتحدة".

دعم المسؤولون الغربيون ووسائل الإعلام الكبرى هذه الدعاية؛ إذ خلا كلام هذه الجهات الفاعلة تقريبا من عبارة "حرب إبادة جماعية" أو "إبادة جماعية"، وهم كذلك استنكروها ورفضوها حينما ذكرها منتقدو إسرائيل. ويسعنا القول إنّ هذه الحصانة المعطاة لإسرائيل ليست وليدة 7 أكتوبر، وإنما هي فعل متواصل طوال عقود من السنين، وحتى الجماعات والمنظمات الكبرى باتت الآن تدرك الطبيعة العنيفة والرجعية للدولة الإسرائيلية؛ فمنظمة حقوق الإنسان و"بتسيلم" الإسرائيلية، مثلا، أدانتا الاستيلاء الإسرائيلي المتواصل على الأراضي الفلسطينية، ووثقتا الانتهاكات الإسرائيلية للقوانين الدولية ودعمها أكثر من 700 ألف مستوطن لبناء مستوطنات في الأراضي المحتلة في الضفة الغربية والقدس الشرقية. وتوصلت تلك المنظمات إلى أن إسرائيل دولة فصل عنصري؛ إذ تمنح اليهود امتيازات خاصة، وتعامل الفلسطينيين على أنهم مواطنون من درجة أدنى.

يبرهن هذا الأمر مرة ثانية على زيف مبادئ الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وادعاءاتها عن الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان؛ فهي ليست إلا دعاية خطابية هدفها إخفاء سياساتها الرامية إلى حماية مصالحها السياسية والاقتصادية. وفي هذا السياق صَدَق كلام القس الفلسطيني منذر إسحاق، من بيت لحم، حين قال: "أقول لأصدقائنا الأوروبيين: لا تكرروا على مسامعنا مجددا محاضراتكم عن حقوق الإنسان أو القانون الدولي".

منذر إسحاق

سعت دول أوروبية كثيرة بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية للجمع بين معاداة السامية ومعاداة الصهيونية، فهي بذلك تهدف إلى تجريم التضامن مع النضال الفلسطيني، وتجريم حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS). ولا بد من إدراك المقاصد والغايات من هذه الأفعال الرامية لتحقيق هدف أكبر لدى النخب الغربية، واستهداف السياسات التقدمية واليسارية كما حصل في المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، فضلًا عن محاولات تقييد الحقوق الديمقراطية في تلك الدول.

في هذا السياق لا تتصدى نظريات المؤامرة الزاعمة بسيطرة اليهود على العالم الآراء الاستشرافية، بل إنها تعززها وترسخها في حقيقة الأمر؛ فثمة أوجه مختلفة للعنصرية يغذي بعضها بعضا كما قال المفكر المناهض للاستعمار فرانز فانون: "عندما تسمع مذمات عن اليهود، فأحسن الإصغاء لأنّ الناس يرمونك بكلامهم". كذلك تخفف هذه الادعاءات من مسؤولية النخب الغربية عن المأساة الفلسطينية، من دون أن يغيب عن بالنا أن الدعم الغربي لإسرائيل لم يمنع معاداة السامية المستمرة من النخب الغربية؛ فمنذ اللورد بلفور حتى الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، دعموا جميعهم السياسات أو الديناميكيات المعادية للسامية؛ فصحيح أنّ بلفور مشهور بإرساله الرسالة المتضمنة وعده المعروف: "تنظر حكومة صاحبة الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين"، غير أنّه من مروجي قانون الأجانب عام 1905 وداعميه، الذي أغلق الحدود البريطانية بوجه المهاجرين اليهود الفارين من المجازر الروسية. أما أنصار ترامب فذهبوا في مسيرة في شارلوتسفيل عام 2017، وهتفوا قائلين إنّ "اليهود لن يحلوا محلنا". والأمر ذاته حدث في فرنسا عندما وجهت الانتقادات إلى إيمانويل ماكرون لتكريمه المارشال بيتان، أو تسليط الضوء على المنظر المعادي للسامية تشارلز موراس.

تواجه النظرات الاستشراقية والعنصرية عن فلسطين والفلسطينيين، وآخرين من غير البيض، تحديًا مرتبطًا بالنضال المشترك المنطلق "من الأسفل"؛ أي من القواعد المدنية والشعبية في أرجاء العالم، ولا سيما في المجتمعات الغربية حين تكون المؤسسات الحاكمة منبعَ تلك الأفكار وأصلها. وكما أسلفنا القول، للقضية الفلسطينية تأثيرات بالغة على الديناميكيات السياسية خارج منطقة الشرق الأوسط.

برزت الانتقادات الأولى للاستشراق والدراسات الاستشراقية في الغرب خلال مرحلة نهاية الاستعمار عقب الحرب العالمية الثانية، وقدمها مؤلفون ومفكرون من البلدان المُستَعمَرة ممن عاشوا غالبًا في الدول الغربية، مثل أنور عبد الملك وإدوارد سعيد. وبدأت الطعونات بالدراسات والتوجهات الاستشراقية في الأوساط الأكاديمية عقب الحرب العالمية الأولى، وأطلقتها الثورة الروسية، لكنها تعززت بفضل المقاومة المتنامية للحركات المناهضة للاستعمار والإمبريالية الغربية في الشرق؛ بدءاً من آسيا ومروراً بالشرق الأوسط وانتهاء بأفريقيا. وأسهمت الحركات النسوية والمناهضة للعنصرية في التصدي لتلك الأفكار في الدول الغربية.

في الوقت الراهن تدور نضالات في شتى المجتمعات والأوساط الأكاديمية وأماكن العمل ووسائل الإعلام البديلة وغيرها، وهي تبذل جهودها للضغط على السلطات والحكومات لإيقاف حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية المتواصلة بحق الفلسطينيين في قطاع غزة، وإبراز السياق التاريخي للقضية الفلسطينية، وفضح الطبيعة الاستعمارية الاستيطانية لإسرائيل ونظام حكمها العنصري، والتضامن مع الفلسطينيين؛ فهذا كله يتحدى المنظور الاستشراقي لوسائل الإعلام الغربية الكبرى، الذي يؤدي دور الدرع (من بين دروع أخرى) لحماية مصالح النخبة الحاكمة الغربية.

المراجع والمصادر

NUQUL, S. (s/d.). Western media are partners in Israel's genocide in Gaza. The New Arab. https://www.newarab.com/opinion/western-media-are-partners-israels-genocide-gaza

AKUNIS, B. O. (2023, November 25). Israel-Hamas war is a clash of civilizations for a new Middle East. The Jerusalem Post | JPost.com. https://www.jpost.com/opinion/article-774843

POLLET, M. (2023). “EU Condemns Hamas Attack on Israel as ‘Terrorism in Its Most Despicable Form’” POLITICO, October 10, 2023. https://www.politico.eu/article/israel-ursulva-von-der-leyen-hamas-pale....

SHARP, R. (2023). “Lloyd Austin Says ‘Evil’ Hamas Are ‘Worse Than Isis’ as He Meets Netanyahu in Israel.” The Independent, October 13, 2023. https://www.independent.co.uk/news/world/americas/us-politics/lloyd-aus...

STEPHENS, B. (2023). “Opinion | Hamas Bears the Blame for Every Death in This War.” The New York Times, October 17, 2023. https://www.nytimes.com/2023/10/15/opinion/columnists/hamas-war-israel-....

AHMAD, A. (1992). “Orientalism and After: Ambivalence and Cosmopolitan Location in the Work of Edward Said.” Economic and Political Weekly 27 (30). https://www.jstor.org/stable/4398691.

“Orientalism and Orientalism in Reverse - Sadik Jalal Al-’Azm.” n.d. Libcom.Org. https://libcom.org/article/orientalism-and-orientalism-reverse-sadik-ja....

BERMAN, Lazar. (2023). “PM: ‘Never Again Is Now,’ Israel Fighting ‘humanity’s War Against the Barbarians’ | the Times of Israel.” The Times of Israel (blog). October 28, 2023. https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/netanyahu-never-again-is-n....

Admin. 2023. “‘Jesus Would Be Born Under Gaza Rubble’ – Palestinian Pastor.” Palestine Chronicle. December 24, 2023. https://www.palestinechronicle.com/gaza-is-moral-compass-of-the-world-p....

Rosenberg, Y. (2021). “‘Jews Will Not Replace Us’: Why White Supremacists Go After Jews.” Washington Post, October 27, 2021. https://www.washingtonpost.com/news/acts-of-faith/wp/2017/08/1

فلسطين هي العالم

غوستافو الراسي

إن كنّا قد تعلمنا منذ قرنٍ مضى عبر الخبرة المعاشة في حروب الخنادق ومن خلال "الجسد البشري الهش والصغير" (بنيامين، 1996، ص. 115) أنّ أي شكلٍ من أشكال النقل يمكن أن يُفقد، فإنّ ما نعيشه اليوم هو فقد الخبرة، ولربما فقد لخبرة الجسد بحدّ ذاته، الجسد الفيزيائي والاجتماعي، إذ أصبح النقل موتًا، والموت هو موت النقل. وهذا لا يعني ألّا نحكي قصصًا، أو ألّا نتمعّن بجدّ في الوقائع وكيفية التلاعب بها لنسلّط الضوء على ما لا يجب الشكّ به ألا وهو أن: العنصرية، الكولونيالية، التلاعب والسيطرة الاقتصادية، والماهوية، لا يتوافقون بالسليقة مع الحياة في عالم حُرّ. لكن وعلى الرغم من محاولاتنا هذه فقد فشلنا بشكل عميق.

إنّ واقع فلسطين، سوريا، العراق، جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا وبقايا فرنسا في شمالها، تدمير الأنظمة التقليدية في شبه القارة الآسيوية، والعلل ذات الأصول الأمريكية- اللاتينية (أو بالأحرى 90% من عالم يتم سرد قصصه ولكن لا يمكن كشف معانيه) يبقى واقعاً غامضًا وغير قابل للنّقل والتحويل. ونحن بوصفنا مستعمَرين، نشعر بالحقد على الماضي، لكننا لا نستمع إلى أولئك الذين يقترحون واقعًا آخرًا؛ نتجاهل إمكانية "عالم يتسع لعوالم عدة". ننظر وننتبه، لكننا لا نقوم بأداء دورنا كشهود على كل المجازر والفجائع التي تُكشف قبالتنا.

نسعى للتعاطف، نضع أنفسنا في موضع الضحايا الحقيقيين، وقبل كل شيء نستقبل ونشعر معًا بآلام أولئك الذين يعانون وهم بعيدون جدًا عنا، وبذلك تؤول ثقافتنا ثرثرةً لا تنتهي من التحليلات والتصريحات المُستثارة التي تهدف إلى إنتاج شيء من التماهي. وهكذا دواليك، يستمرّ الموتى بالموت.

إنّ هذا التكتيك المنبثق عن الثرثرة غالبًا ما يكون نتيجةً غير متعمّدة للأعمال الجيدة، ولكن هذا لا يمنعه من أن يكون تعبيرًا واضحًا عن عجزنا عن نقل أي معنى ملموس حول النكبات. ليس ذلك فحسب، بل إنه فخّ واضح من آلة التدمير الهائلة في قوّتها، التي تسيطر على العالم الحالي وذلك ضمن المملكة التي يمكننا تسميتها بالثقافة، وبشكل أكثر تحديدًا، الثقافة السياسية. هذا هو التكتيك النّاجح الذي أُزيل عنه الستار منذ 75 عامًا من خلال الصهيونية، لتبرير أي تعدٍّ تجاه شعب أصلي ما. وبوساطة هذه الاستراتيجية، يتم بناء عملية التماهي/التقمّص مع المُعتدي وذلك في كثير من الأحيان حتى عندما نُدينُه؛ إذ إن هنالك دائمًا عنصراً مجبولاً من الغيظ والرغبة في العدوان، يدفعنا لأن نودّ أن نهيمن، بقدر ما نريد أن يُهيمَن علينا. لكن هذه الاستراتيجية ليست فريدة أو حصرية للصهيونية، بل لهذا الشكل من الفاشية الذي يعدّ علامةً لا تُمحى لتجربة الإنسان ابتداءً من القرن العشرين، ولن نتخلّص منه في وقت قريب.

وعلى الرغم من هذه الحقيقة، إلا أنه لا يمكننا إنكار أنّ الصهيونية أولًا بحشدها للكثير من الآخرين لصالحها ـ أعظم قوة عالمية، حلفاؤها وكذلك خصومها ذوي النوايا غير الصريحة ـ وثانيًا بقدرتها الملتوية على تحويل التنديد بها إلى جريمة على نطاق عالمي؛ هي التي تفرض نفسها كقوة رئيسية يجب محاربتها.

في بداية الاعتداء الصهيوني الحالي لغزة، قال نفتالي بينيت في مقابلة له مع قناة بريطانية إنه وخلال الحرب العالمية الثانية لم يكن هناك أي اهتمام بالخوض في موضوع الهجمات الجوية لسلاح الجو الملكي البريطاني على ألمانيا. وعلى الأغلب أنّه كان يقصد من ذلك وضع المُحاوِر البريطاني في موقف محرج، كما لو أنّ ما أشار إليه المحاور هو اتهام منافق، من مبدأ أنّه هو بنفسه ينتمي إلى دولة قامت بشيء مماثل فلا ينبغي أن يتم استجوابه نظرًا لأنها كانت تحارب النازيين. وهذا، على حدّ قول نفتالي، الشيء نفسه الذي تقوم به إسرائيل. إن اتهامه لم يكن غير صحيح نسبيًا لولا الحقيقة البسيطة بأنه كان كاذبًا تمامًا.

كان فونتغور أدولف سيبالد، وهو أستاذ ألماني في إنجلترا التي اعتنقها كوطن، قد كرّس لهذا الموضوع دراسة مدهشة وأساسية حول معنى الذاكرة، والحداد، والمعاناة في الظروف القصوى. إن أفكاره حول الحرب الجوية ليست فقط دراسة للمجزرة التي ارتكبها البريطانيون بحق الألمان، بل هي انتقاد لمبدأ تشكيل الواقع الحديث وذاكرته التي يرفض الشاهد/الخبرة المعيشة أن يسكنها. وتشخيصه لهذا هو أن الواقع لا يمكن أن يُقدَّم بمصطلحات مفهومة. ولذا فإنّ جوهر المقاومة بالنسبة لأدبه يكمن في استنتاجاته بأن اللّاحساسية أصبحت المبدأ الفعّال في ثقافتنا الشمولية مانعةً إيّانا من اتخاذ موقف حقيقي أمام المعطيات المروّعة التي تُنشر أمام أعيننا.

أنوّه هنا إلى أننا نقول "اللّاحساسية"، وليس "التضامن"، لأن هذا الأخير يمكن أن يكون لاحسّاسًا أيضًا، وهو كذلك بقدر ما يتجه نحو تلك الأنا المطلقة التي تسود مجتمعنا النرجسي؛ أشعر؛ أتأثّر ولذا فأنا مُتضامن، وعليه فإنّني أشعر بألم الآخر كما لو أنّه ألمي، وإن كان ألمي فلديّ الأسبقية.هذا هو المنطق والوسيلة الشائعة التي ينتهجها البياض، في استحواذه على أجندات الأقليَّات (على سبيل المثال) طاغيًا على صوتها. لا، وقبل كل شيء، هي تلك "اللّاحساسية" التي يتناولها سيبالد، وذلك العجز في اتخاذ المواقف كطرف ثالث، كشخص خارجي يحتاج إلى اتخاذ موقف أمام فعل مُريع: أن يختار بين الفرار وإغلاق عينيه أو فتحهما والمشاهدة، إن كان هذاما تبقى للقيام به. هذا هو معنى أن تكون شاهدًا! اتخاذ موقف في اللحظة التي يكون فيها التاريخ بحدّ ذاته في خطر. هذا ما علمنا إياه جورجيو أجامبين في كتابه المكرَّس (لا عجب) لأوشفيتز، فضلًا عن والتر بنيامين في شهادته عن مفهوم التاريخ.

وبهذا نصل إلى القضية التي أعتقد أنها قضية مركزية لما نشهده اليوم في غزة: هنالك أولئك الذين يشهدون وأولئك الذين يتعاطفون. والشهود في البرازيل هم أشخاص (نفكّر في أشخاص لديهم صوت عام مُضخّم) مثل برينو ألتمان الذي يتعرض الآن لتهديدات مستمرّة، وسالم ناصر الذي يتعرض للاضطهاد الأكاديمي. فضلًا عن العديد والعديد من المثقّفين والنشطاء الذين يشهدون مُطلقين صيحات الاستهجان، مُظهرين وجوههم على العلن ورافعين أصواتهم دفاعًا عمّا يعدّ منذ زمن طويل غير معذور بما في ذلك من وجهة نظر الفئات القانونية. ولكن لا شيء في هذا العالم يتعلق بالفئات القانونية بقدر ما يتعلق بالفئات الأخلاقية. وهذه هي العقدة الغوردية في الثقافة المعاصرة: الهجوم المستمر الذي يهدف إلى تفريغ أية أخلاقية ممكنة أمام المبادئ الأخلاقية المبالغ بها والمنبثقة (من بين أمور أخرى) من حرب الذاكرة المبنية على ميثولوجيا تقوم بتثبيط وجود أي بديل.

المجتمع، كما كان يشير أدورنو (فيلسوف يهودي ألماني آخر كحال بنيامين) قد تمّ "تطبيعه"، أي تم قبوله كقوة طبيعية لا مفر منها، حالها كحال العوامل الجوية، الأعاصير، العواصف الثلجية، الجفاف، والفيضانات. إلّا أنّنا نعرف اليوم أنّه، حتى هذه العوامل، مرتبطة بشكل وثيق بأفعالنا في هذا الفضاء العالمي. وإن كانت حتى الطبيعة غير باقية، فما بالنا بالثقافة؟ كيف يمكن تبرير ما لا يمكن تبريره: كيف نبرر أن بعض الأرواح تستحق العيش أكثر من غيرها لأنها تتوافق مع تصميم "طبيعي" معيّن، بوصفه مصيراً حتمياً، يجعل بدوره من شعب ما مختاراً من بين الشعوب الأخرى؟

واسمحوا لي بأن أطيل في الكلام لأقول إن هذه الأفكار هي مجرد تمرين لمحاولة فهم ما يمكننا القيام به تجاه ما يغدو مناف للعقل على المستويين المنطقي والعاطفي على حدٍّ سواء. ويبدو أنّ الخيار الذي يبقى أمام ما لا يمكن قوله، هو الاستمرار في القول، ولكن ربما في بُعد جديد: بُعد الإدلاء بالشهادة؛ علينا أن نفعل كل ما في وسعنا لتمكين الأصوات من سرد الرعب، مهما كانت صعوبة جعل هذا الرعب قابلًا للنقل. في هذه المهمة، فلسطين هي العالم؛ لأنها تضخّم من إمكانية سرد ما لا يمكن سرده، وتضخّم أيضًا من أصوات أولئك الذين- كالفلسطينيين- يتحملون سنوات وسنوات من الدمار والمحو دون إمكانية النقل والتعبير الملموس.

لكن هناك شيء آخر يجعل الفلسطينيين، وبلاد الشام، انعكاسًا للمُعاصِر: في لغة معسكرات الاعتقال النازية، كان هناك مصطلح خاص بـ اللاشهوديّ: الميزلمان (المسلم بالعربية). أطلقت هذه التسمية المتزامنة على أولئك الذين فقدوا الأمل والقدرة على تمييز أي شيء، وتُرِكوا من قبل رفاقهم. أولئك الذين، بحسب جان أمري، ينبغي استبعادهم من الاعتبارات المتعلقة بالمحرقة. ولكن ليس بحسب بريمو ليفي؛ الرجل الذي هو رمز النجاة من النازية، والذي بذل أقصى جهده لجعل تحول السجين إلى ميزلمان قابلًا للنقل. هذه الصورة التي تبرز اليوم في سماء السياسة العالمية (صورة المسلم الذي يعاني بشكل مباشر من عواقب الكراهية العنصرية ضد العرب) تجسّد الرؤية العالمية للبلدان التي قدّمت لأوروبا والعالم الطب، الجبر، الخوارزمية، بقاء أرسطو وأفلاطون، وأولى الجامعات.

فلسطين هي العالم، وحتى بإمكاننا القول بلاد الشام ككل؛ لأنها تعطينا صورة يصعب وصفها للميزلمان، وللإنسانية العالقة على عتبة بين ذاتها ونقيضها. إنه المكان في العالم الذي يصبح فيه الاستثناء القاعدة اليومية. المكان الذي يغدو- كما الميزلمان في المعسكر- الشيء الذي لا يريد أن يراه أحد.

فلنرَ إذًا، فلننتبه. لا أعذار، فكل شيء قد قيل، وكلُّه موضوعٌ رمٌ أعيننا!

تجليات أدبية في

إيثار ضاهر

عندما نبدأ بالحديث عن النكتة السياسية كمصطلح فنحن نعالج شقّين: الأول هو كلمة "النكتة" المرتبط بالضحك والهزل والمزاح، أما الثاني فهو كلمة "السياسية" المرتبط بالصرامة والجديّة. ولكن ما هي العلاقة التي تجمع هذين الشقين اللذين إلى حد ما متناقضين؟ وهذا التناقض فيما بينهما يولد التفاعلات وانقلاب الأدوار بين السياسي الصارم والشعب الضاحك في وجه هذا السياسي، وإذا انطلقنا من تفكيك عناصر النكتة السياسية فهناك ثلاث عناصر لها: ملقي النكتة السياسية ومتلقي النكتة السياسية والمستهدف من النكتة السياسية وغالبا ما تكون السلطة أو السردية المهيمنة. ولكن كيف يتحول مفهوم النكتة السياسية من مفهوم سياسي ساخر إلى مفهوم أدبي؟

بالنظر إلى النكتة بشكل عام، ووفقًا لهنري برغسون، كان الأديب الألماني جان بول يعرّفها بأنّها "تفضّل الكلمات المحدّدة والتفصيلات الدقيقة، والحقائق الدقيقة،" (برغسون، 1924: 85) وهنا إحالة إلى اللغة الرمزية التي تستخدمها النكتة للتخفي كالبلاغة في الإقناع والتأثير عبر خطاب يتميز بالإيجاز اللغوي والتعددية في المعنى. والنكتة هي من الفنون القولية التي تتطلب من المنكِّت ـ الذي يشبه إلى حد ما شخصية الحكواتي في الحكايات الشعبية ـ مهارة لغوية عالية وقدرة على التأثير بالمتلقي فهو عالم في انتقاء الكلمات كما يصفه برغسون "إنه شيء ما كعالم التشريح الذي لا يقوم بالتشريح إلّا من أجل التقريف؛ والتنكيت، بالمعنى الضيق حيث نستقي الكلمة،" (المرجع نفسه: 85.) ومن هنا فالمنكِّت يعمل على تفكيك وتحليل الكلمات لينتقي منها الأبلغ بشكل ارتجالي وعفوي أو مبني على نصوص سابقة وفرضيات جاهزة.

النكتة السياسية

إنَّ الهدف من هذه الورقة، هو دراسةُ أدبيّةِ النكتة السياسية بشكل عام بوصفها الفضاء المناسب لرصد الكبت السياسي وقياس مدى تقبل الناس لما هو قائم في الأنظمة السياسية ودراسة النكتة السياسية في السياق السوري بشكل خاص كمحور لهذه الورقة، عبر تحليل اللغة الرمزية التي تستخدمها النكتة السياسية السورية كصوت خفي ضد النخب المهيمنة، وفحص نصيتها وأدواتها الأدبية التي تستخدمها في ظل الأحداث السياسية ليس بوصفها أداة مسؤولة عن تصوير الواقع والمساهمة به ولكن كأداة رمزية و إشارية للواقع السياسي المعاش. الأمثلة في هذا البحث عن النكتة السياسية السورية لا تمثل كل الآراء السياسية السورية التي يتبناها كافة الشعب السوري لأن الشعب السوري لا يتبنى رأي سياسي موحّد، كما المفارقة في أولى شعارات انتفاضة عام 2011 عندما كان يهتف المتظاهرون: "واحد ، واحد ،واحد ، الشعب السوري واحد" ومن ثم تحول الهتاف عند إدراك الاختلافات بين الآراء السياسية للشعب السوري إلى هتاف: "واحد ،واحد ، واحد، شعب سوريا ثلاثة وعشرون مليون وواحد" (Camps-Febre, 2012: 37-38) لأن النكتة السياسية بطبيعتها "تتعامل مع معتقدات معينة تتبناها فئة محددة من المجتمع" (Mulkay, 1988: 85-86)، كما وإن النكت السياسية السورية لم تُجمع في مجلد خاص بها لذلك بقيت متناثرة على مواقع التواصل الاجتماعي وفي المواقع الإلكترونية وإن الأمثلة التي تُستخدم خلال هذه الورقة لا تمثّل كافة النكت السياسية الموجودة في السياق السياسي السوري فهي لتمثيل ما تستدعيه الورقة البحثية لا للحصر، أما عن استخدام منهج الكرنفالية عند باختين* فلا يزعم هذا البحث استخدام كرنفالية باختين على كافة النكت السياسية السورية ولكن هذا الاستخدام أيضًا ينحصر فقط على النكت السياسية التي ستذكرها الورقة.

قبل أن نتجه إلى أدبية النكتة السياسية لا بد من التطرق إليها كونها كلامًا شفاهيًا قابلًا لا
النص المكتوب الذي ترتبط نصيته بالكتابة أما النص الشفاهي فترتبط نصيته بقدرته على بق
التقاليد الشفاهية، تربط نصية النص على مستوى العبارة بتنظيم مافوق لغوي أي تصبح إ
(Lotman et al, 1978: 234–235); إذًا، ما يميز النص عن اللانص ليس المستوى اللغ
خارجه وفقًا لسلطويّة ناطق اللفظة والفضاء الذي نُطقت به، "كالقصيدة التي لا تعتبر
) ومن هنا فإن النكتة السياسية ـليست تراثًا شفاهيًا بالمعنى التراثي ولكن بمعنى طريقة
قد تكون نصًا على مواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة لتعبير عن الرفض الخفي ـوهنا
شعب ما عبر اللغة وفقًا لسرعة استجابتها لحدث معين ولناطقها أو متداولها وهو المؤلف
مواجهتها من قبل السردية المهيمنة، ومن هنا لا يمكن قراءة النكتة السياسية فقط على أن
ونستنتج مما سبق أن النكتة السياسية هي نص لأنها تنتمي لثقافة معينة في لحظة معينة ت
منه ـ بخلاف النص ـ أيُّ مدلول ثقافي،"* ولكن هذا لا ينفي قدرة النكت السياسية على
قد تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية كالنكت السياسية المتداولة في السياق العربي عن
الألماني الأمريكي هانس سبير: "من المفارقات أن النكات السياسية خالدة، أي أنها تكرّر
1352 :1998) ومن هنا فإن هويتها الأدبية "تنطوي على تكرار ما هو معترف به على أ
73 :2004) وهذا ما يحدد أدبيّتها لأن الأدب " قد يكون منتج ثقافي ولكن لا يمكن أن يكو
ولغوية تستخدمها كسلاح لتحقيق غايتها كمنتج أدبي وثقافي وليس محتوى لثقافة معينة
في النكتة الس

**"يسأل طفل والده: "
الآخ
يجاوب والده : "لا
الدنيا." (33 :2012**

تبدأ النكتة السابقة بسؤال حول مصير الكاذب في السياق الديني وعن حتميّته لكن السؤ
سيئة بكلتا الحالتين. تتكون هذه النكتة من حيث تكوين الجمل من سؤال وجواب، والج
بالدنيا، وكأنّ أثر الكذب ينتهي بالدنيا ولا يُحاسب عليه في الآخرة. من يقرؤها ويكون من
نرى خصوصية النكتة السياسية داخل ثقافتها التي تعتبرها نص، لذلك فإن هذه النكتة هي
الدنيا عند الكذب أنّه إذا أردت أن تكذب فذهب إلى قناة الدنيا أو إذا كذبت فستذهب
نار؟ فضلًا عن فعل الذهاب نفسه فالأب والطفل ليسوا بالدنيا ولا بالآخرة هم في عالم يش
استخدام كلمة "الدنيا" والمفارقة هنا أن مستوى اللغة التي تستخدمها النكتة السياسية الس
القناة التلفزيونية التي تجبر الشعب السوري بأن يلفظها باللغة الفصحى لأنها في الدارجة ال
سنراه في العامية في الفكاهة الشعبية المعروضة في

أن يتحول إلى نص عبر علاقته مع دلالته الثقافية التي تنتج عناصره النصية بعيداً عن هيمة
ائه الأبدي في الذاكرة الجمعية لثقافة معينة، وأيضًا بدلالته داخلها وذلك لأن "الثقافة ذات
ما حكَم أو أمثال شعبية عبر استخدام بنية لغوية محددة لا يمكن أن تكون نصًا دونها،"
وي فقط ولكن المستوى الدلالي أي قدرة النص على الإحالة والايحاء عبر لغته إلى ما هو
نص في السياق القانوني ولكن نص في السياق الأدبي" (المرجع نفسه، 236) ترجمة لي.
تداولها وانتشارها- تعتبر نصًا وفقًا لفضائها الذي تنتج فيه كالمظاهرات والانتفاضات أو
تكون النكتة السياسية فرصة للحضور دون أي قمع- وهي حالة مقاومة رمزية يعيشها
ب الجماعي المجهول الذي يساهم في شكل من أشكال المقاومة اللاعنفية التي يصعب
ها عبارة مضحكة وإنما نظرًا لامتدادها الثوري "داخل ثقافة معينة" (كليطو, 2006: 16)
كون فيها نص، وهذا ما يميّزها عن اللّانص لأن اللّانص "ليس إلا تنظيم لغوي ولا يستشف
التنقل في سياقات مختلفة واحتوائها على بعض عناصر الفكاهة السياسية الخالدة التي
طول مدة الحكم للحكّام وتوارثه بينهم وبين أجيالهم اللاحقة. وكما يقول عالم الاجتماع
أشكال متشابهة أو حتى متطابقة في أوقات مختلفة وبين أشخاص مختلفين."(Speier,
نه 'الشيء نفسه' والانفتاح على سياقات جديدة وبالتالي الانفتاح على التغيير" (Attridge,
ون محتوى ثقافي ببساطة" (المرجع نفسه: 6) كالنكتة السياسية التي تمتلك قدرة بلاغية
فقط، غالبا ما تكون النكتة السياسية نوع من الاختزال اللغوي ولكنه مركّز ومكثّف، كما
سياسية التالية:

'إذا كذبت بروح ع
مرة؟
إذا كذبت بتروح ع
(Camps-Febre,

ال لم يحدّد المصير بجنة أو نار ولكن كان المصير مجهول وهو الآخرة وكأن الآخرة هي
واب هو نهائي بحيث تنتهي فيه النكتة السياسية بلا حوار أو مجادلة عن علاقة الكذب
ن خارج السياق السوري لن يعرف أن "الدنيا" هي قناة تلفزيونية تابعة للنظام السوري وهنا
ي وليدة هذه القناة التلفزيونية ونستنتج عندما نكمل هذه النكتة أن المقصود بالذهاب إلى
ب إلى قناة الدنيا التي هي أسوأ من الآخرة، والآخرة ذاتها ليس معروفة ماهي، أهي جنة أم
به البرزخ ينتظرون معرفة مسارهم. ومن هنا نرى كمية التلاعب بالكلمات والرمزية في
سابقة كاملًا باللغة الدارجة ماعدا كلمة "الدُنيا" التي تلفظ باللغة الفصحى بسبب لفظ اسم
سورية تلفظ "الدِنيه" وفي هذه النكتة نرى أن اللغة الدارجة هي المفصل لرمزيّتها وهذا ما
ي الكرنفال في "معجم الساحة العامة" عند باختين.

ولكن ماهو الكرنفال بالنسبة لباختين؟ وماعلاقته بالنكتة السياسية؟

بدأت الكرنفالية عند باختين في كتابه "شعرية دوستيوفسكي" إذ وصف الكرنفال على أنه حالة تكون جميع المتقابلات فيها ليست ثابتة فالمركز يصبح هامش، والهامش يصبح مركز في فضاء هزلي متخيل يصور العالم بشكل مقلوب خارج عن عادته وسيطرته ويرتبط "ارتباطًا عضويًا بمفهوم الاتصال البعيد عن الكلفة، إنّ هذا المفهوم يسمح للجوانب الخفية من الطبيعة البشرية بالتكشّف." (باختين، 1986: 182) ومن ثم تطورت في كتابه" أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية"، الكرنفال بالنسبة لباختين يحمل طابعًا شموليًا، بمعنى أن لا أحد يعيش خارج قوانين الحرية التي يفرضها الكرنفال وهو شكل ملموس للحياة نفسها وأن الحياة هي التي تتمسرح وتؤول بدون ممثلين أو متفرّجين وهو صيغة خالصة للوجود؛ عندها يتحول اللهو إلى حياة بعينها؛ حياة الشعب الثانية، وهو تحرّر مؤقت من الحقيقة السائدة والنظام القائم، ويتميز الكرنفال بتعارض مع كل تأييد كما النكتة التي يعرّفها برغسون: "التعارض بين ما هو قائم وما يجب أن يقوم" (برغسون، 1924: 84) وهو فضاء يتساوى فيه الجميع ويخلق فيه نوع من الاحتكاك المتحرّر بين الأفراد الذين تفرّقهم بالحياة العادية فوارق عديدة (باختين، 2015: 23) كما في حالة النكتة السياسية التي تقوم على تبادل الأدوار بين السّاسة والشعب وعلى احتكاك مباشر فيما بينهما من خلال فضاء النكتة المتخيّل.

إن دراسة المنهج الكرنفالي للنكتة السياسية تكشف لنا عن تعدديّة دلالاتها، حيث تتجلّى الكرنفالية فيها تعبيرًا رمزيًا ودالًا للبعد السياسي، وعلى الرغم من أن باختين نظّر لتعددية اللغوية و للكرنفالية وطبّقها في الرواية بوصفها نوع أدبي حيوي ينطوي على "التنوع الاجتماعي للّغات وأحيانًا للّغات والأصوات الفردية، وتنوعًا منظماً أدبيًا" (باختين، 1987: 15) فإنَّ هذه الورقة على وعي تام بأن النكتة السياسية لن تكون مثل الرواية ولكنها تحمل بعض العناصر الروائيّة التي تتجسّد في حمولتها التعبيريّة، وطريقة السرد التي تستخدمها النكتة السياسية، كونها لفظة مؤقتة تُطلَق كنوع من التنفيس وتعكس أصوات عالم يعيش على الهامش، كما تكشف عن الحظر الأدبي لطبقات المجتمع الدنيا، وتشير إلى دلالات القناع والتخفّي وطبيعة اللغة السّاخرة التي تبرز اعتلاء صوت الهامش واختيار الألفاظ التي تؤلّفها الروح الجماعية ضدّ أحاديّة المونولج، لذلك فإنها تركّز على مركزيّة القارئ أو السّامع لها أو المتحدّث بها. ومن هنا فإن النكتة السياسية تخلق فضاء تتمسرح فيه حوارات خفيّة بين المهمّشين والخطاب السلطوي.

إنّ ما يميّز المنهج الكرنفالي ليس القناع الذي يرتديه المشاركون في الكرنفال لخلق تبادل الأدوار فقط، ولكن ما يسمّيه باختين الواقعية الغروتيسكية التي تتميز بإسفال كل ما هو عالٍ (باختين، 2015: 36) وتحول كل ما هو مقدّس إلى مدنّس وانطلق باختين في التعبير عن ذلك إلى مفهوم الجسد كونه يرتبط بكل ماهو سفلي وأرضي ولأن "الإسفال يحفر القبر الجسدي من أجل ولادة جديدة، لهذا السبب، ليست له قيمة تدميرية سلبية فحسب، ولكن أيضًا إيجابية ومجددة: إنه مزدوج، إنه سلب وتأكيد في الآن نفسه." (المرجع نفسه: 38) ومثال على ذلك النكت السياسية التي تستهدف الصفات الجسدية للحكّام أو من هم بالسلطة "كطول رقبه الرئيس السوري بشار الأسد الذي جعله هدفاً لأن يُلقب بالزرافة." (Camps-Febre, 2012: 30) وفي النكتة التالية التي تصوّر صورة كرنفالية تُختصر فيها النتانة الروحية بالنتانة الجسدية وتتجسّد عبر ذلك الواقعية الغروتيسكية:

"دخل بشار الأسد إلى أحد حمامات دمشق القديمة ليستحمّ فيها، وعند خروجه سأل الحمّامي: كم الأجرة؟ ردّ الحمّامي: 200 ليرة. بشار: لماذا؟ والدي كان يأتي ليستحمّ عندك وكنت تأخذ منه 100 ليرة فقط! الحمّامي: إي بس انت أوسخ من أبوك."

اللغة المحددة التي تستدعيها النكتة السياسية تكون وليدة أحداثها السياسية المعاشة لأنّ " أي صيغة جديدة للتواصل، تستدعي بالضرورة أشكال لغوية جديدة، وأجناس غير مسبوقة، وكذلك تعديل في المعنى أو إلغاء بعض الأشكال المهجورة" (باختين، 2015: 31). كذلك في فضاء الانتفاضات أو الثورات أيّ أنّ الفضاءات التي يكون فيها الشعب مقموعًا ومهمشًا تستدعي أشكال لغوية جديدة يستطيع هذا الشعب من خلالها أن يحقق سرديته بتدنيس ألوهية الحاكم المزعومة، إما عبر استخدام ألفاظ بذيئة يستهدف فيها قذف وذم الحاكم أو يستهدف أي سردية سلطوية كما في كرنفالية باختين التي تحتوي على ظواهر لغوية معينة وهي "استخدام كلمات وعبارات مسيئة... كلمات بذيئة تجديفية المنصبة على الآلهة والتي كانت تمثل عنصرا ضروريا في الطقوس الهزلية الأكثر قدمًا" (المرجع نفسه: 32)

ومثال على ذلك النكتة السياسية التالية:

" إن رجلاً اعتاد رواية النكت عن الرئيس فاعتقلته المخابرات السورية وعذبوه، فوعد بعدم تكرار فعلته، إلا أن عاد الرجل إلى عادته في رواية النكت عن الرئيس، فاعتقله رجال الأمن مرة أخرى، فأكد لهم بأنه لا يكره الرئيس وإنما هي عادة لا يستطيع التخلص منها، فطلب منه الأمنيون أن يختتم كل نكتة بجملة "بس الرئيس والحمد لله ما دخله". وحين خرج الرجل من المعتقل، قال لمجموعة من أصدقائه إن زوجة الرئيس حامل وأردفها بالجملة: "بس الحمد لله.. الرئيس ما دخله."

إن النكتة السابقة هي لوحة فنيّة عن واقعية باختين الغروتيسكية عبر استخدام البذاءة الرمزية عن الزوجة التي تمثل بالثقافة السورية "العرض" أي الكرامة والشرف، إذ تعود بالإهانة لشخص الرئيس وتنزع عنه عصمته وألوهيته، ومن هنا فإن فضاء النكتة السياسية يشبه إلى حد ما البذاءات المشروعة في الساحة العامة التي تكون فيها كلمة الشعب على الدوام الكلمة العليا، (باختين، 2015: 202) والدليل على ذلك عدم قدرة رجال المخابرات السيطرة على راوي النكت الموهوب وكلما حاولوا السيطرة عليه تحرر في فضاء النكتة السياسية أكثر.

قد تتشابه النكتة السياسية مع الكرنفال بوصفها فعل جماعي تتمسرح فيه حرية التعبير ولكن الكرنفال يكون حدث لامحظور لأن الكرنفال "الذي يتحدث عنه باختين كان منظمًا، وحتى مجدولاً في تاريخ وزمن معين، وأيضًا حدث مرخَّص ومسموح. لكن تداول النكات السوفيتية في زمن باختين وروايتها كان خاص، وممنوع، و غالباً ما يكون بالخفية، وموضوعاً للمراقبة، وحدث غير مرخص، لذلك فالتشبيه بين النكتة والكرنفال هو تشبيه مشكوك فيه بعض الشيء،" (Davies, 2007: 301) ولكن في ذات الوقت قد تكون النكتة السياسية مرخّصة مثل الكرنفال لأن بعض السّاسة والحكام قد يسمحون بقدر من التنفيس عبرها وتكون غير محظورة لشعبهم، وذلك لأن النكتة السياسية هي عدو الظالم "ولكنها لا تستغني عنه" أي لا تكون بلا موافقة ماكرة منه لتخلق عند الشعب "أوهاماً انتقامية جميلة،" (Benton, 1988: 54) لأنهم يعتبرون أن المقاومة اللفظية هي أفضل بكثير وأسهل من المقاومة الجسدية العنفيّة، ولكن التنفيس اللفظي الذي تخلقه النكتة السياسية عبر الضحك هو "ليس شكلا خارجياً، وإنما هو شكل داخلي جوهري، لا يعمل فحسب على التحرر من الرقابة الخارجية ولكن قبل كل شيء من الرقيب الداخلي الأكبر، من الخوف من المقدس، من المحظور السلطوي،" (باختين، 2015: 130) فالضحك الذي تسببه النكتة السياسة هو تحرير للخوف من المكبوت الذي فرضه الحاكم أو أي قوة متغلغلة في حياة الشعب وهذا الخوف الذي يسعى الشعب أن يتحرر منه يتجلى في النكتة التالية التي تستخدم السياق الديني لتأليه الحاكم السوري وتمثيل كمية هيمنته المقدسة:

"يُقال بأنّ الله طلب من ملك الموت عزرائيل أن ينزل إلى الأرض ويقبض روح حافظ الأسد، فاحتجّ عزرائيل مُذكرا الله بقوة حافظ الأسد وبطشه، قبل أن ينصاع لأوامر ربه وينزل إلى الأرض لتنفيذها. وعند باب القصر، اعتقلوه عناصر المخابرات وأشبعوه ضربا وتعذيبا ليعود إلى الله مدمّى. سأله الله عمّا حدث، ليجيب عزرائيل: شوفة عينك، لقطوني المخابرات. ردّ عليه الله قائلًا: اوعك تقول أنا يلي بعتك."*

لا يمكن قراءة النكتة السياسية فقط على أنها عبارة مضحكة وإنما نظرًا لامتدادها الثوري "داخل ثقافة معينة"

إن راوي النكتة السياسية السابقة يحاول التعبير عن سبب الخوف المكبوت الذي يسبّبه كيان الحاكم عبر وضعه في مرتبة أعلى من مرتبته بكثير وهي مرتبة ما ورائية ليس لأي بشر مكان فيها، وهذه النكتة أيضاً ترمز إلى لقب حافظ الأسد المعروف عند الشعب السوري بـ"الخالد" أي يمتلك قوة خارقة ضد الموت، وتُظهر هذه النكتة أيضًا اليد العليا القمعية والاستبدادية للحاكم.

ومن هنا فإن النقد المتهكم والمضحك كان في العصور الوسطى عكس النقد الجدي الذي يصفه باختين "مشبعاً في الداخل بعناصر الخوف والضعف... لقد كان الجد يقمع، ويرهب ويقيّد... أثناء الاحتفالات كانت تتم إزالة النبرة الجدية مثلما يُفعل بالقناع،" (باختين، 2015: 130) ومن هنا نستنتج ثنائية التشابيه بين النكتة السياسية والاحتفالات ـالكرنفالاتـ وبين النقد السياسي الجدّي وبين الجد في العصور الوسطى لذلك نستنتج أن النكتة السياسية هي إحدى فضاءات الحريات.

إن النكتة التالية تصف دكتاتورية تتابع الحكم بين أفراد العائلة والتمجيد والهتاف من قبل الشعب:

"إن بشار توفي فجأة، وكان عمر ابنه ثمانية أشهر، فاجتمع مجلس الشعب وقرّر تعديل الدستور، بحيث يصبح ممكناً لمن عمره ثمانية أشهر وما فوق أن يتسلم منصب رئيس الجمهورية، فخرج الشعب السوري في تظاهرات تأييد لقرار مجلس الشعب وللتعديل الدستوري هاتفاً: "انكفغ... انكفغ.. امبووووو."

في الصورة التي ترسمها النكتة السياسية السابقة يتمثل لنا ما يصفه باختين "بالاحتفال الرسمي" الذي "يُعد انتصارًا للحقيقة الجاهزة، الظافرة، المهيمنة." (باختين، 2015: 22) ولكنها لا تحمل مثله "لهجة الجد الذي لا تشوبه شائبة" (المرجع نفسه) وتعرض لنا ماهو قائم بطريقة تهكم وسخرية ومرجعية لما حدث فعلا بالماضي، فعندما حكم بشار الأسد عُدّل الدستور السوري ليلائم سنّه سن الحاكم المشروط في الدستور، فالنكتة السياسية السابقة هي بذرة تجمع بين الكرنفالية عبر استخدام تعبيرات ما فوق لغوية، والاحتفالية الرسمية عبر تأييد الشعب لكل ما يضعه الدستور.

وأخيرًا، إن العرض السابق في هذه الورقة عن النكتة السياسية بشكل عام وعن النكتة السياسية السورية ـ التي لا تمثل كل النكت السياسية السورية ـ بشكل خاص تطرق لنصيتها التي تحمل مدلول ثقافي بالتزامن مع عناصر لغوية استخدمتها للترميز والتخفي، وهذا ما أضاف لها أدبيتها وفردانيتها بوصفها نصًّا أدبيًّا يحتوي على نوع سردي معين ومكثّف قادر على خلق فضاء حرّ ومتخيّل ومنعزل عن واقعه، ولكنّه ينطلق من التجربة الحيّة، ألا وهي تجربة التهميش والقهر والقمع كما في الكرنفال عند باختين الذي يفتح الآفاق لكل من هو في الكرنفال للولوج إلى فضاءات لم يبلغوها من قبل، وهذه الفضاءات هي تمرّد تمثيلي على كل ماهو قائم.

المراجع والمصادر :

باختين،ميخائيل، أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية، ترجمة شكير نصر الدين. بيروت، منشورات الجمل،2015.

باختين، ميخائيل. شعرية دوستويفسكي، ترجمة جميل نصيف، مر حياة شرارة. دار توبقال 12 للنشر، الدار البيضاء، ط1 ،1986.

باختين، ميخائيل. الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة. القاهرة، دار الفكر للدراسات والفكر، 1987.

برغسون، هنري، الضحك ، ترجمة دكتور علي مقلد. باريس، مكتبة اسكندرية،1924.

كليطو،عبدالفتاح، الادب والغرابة. دار طوبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء، 2006.

ATTRIDGE, D. (2004) *The Singularity of Literature*. London, Routledge.

CAMPS-FEBRE, B. (2012). *Political Humor as a Confrontational Tool Against the Syrian Regime*. Barcelona: Institut Catalá Internacional per la Pau.

DAVIES, C. (2007). "Humour and Protest : jokes under Communism". *International Review of Social History*, 52 (Supplement 15: Humour and Social Protest), 291-305.

BENTON, G. (1988). "The Origins of the Political Joke." In. Chris Powell & George E.C. Paton (eds.). *Humour in Society: Resistance and Control*. New York: St. Martin's Press.

LOTMAN, Y. M; PIATIGORSKY, A. M.; SHUKMAN, A. (1978). "Text and Function". *New Literary History*, 9(2), Soviet Semiotics and Criticism: An Anthology (Winter), 233-244.

SPEIER, H. (1998). "Wit and Politics: An Essay on Power and Laughter." *American Journal of Sociology*, 103(5), 1352-1401.

MULKAY, M. (1988). *On Humour: its Nature and its Place in Modern Society*. London: Polity press.

"قد تتشابه النكتة السياسية مع الكرنفال بوصفها فعل جماعي تتمسرح فيه حرية التعبير"

ثقافة

-

فنون

-

آداب

بائعة القهوة

قصة قصيرة لنيوني
ترجمة: يارا عثمان

في كلّ صباح، ليس باكرًا بما فيه الكفاية ليثني عليه الغرب، وعلى قطعة الأرض التي تَتجهَّز (كما تبدو لي) لاستقبال أكياس القمامة والرُّكام، تتّخذ بائعةُ القهوة مكانها ملوِّحةً المشهدَ الشّاحب لمدينةِ الخرطوم بكراسيها البلاستيكيّة الصّفراء والخضراء والحمراء، المصطفّةِ في خضوعٍ تامّ حول طاولة زرقاء. تحني جسدَها، وتلاطِفُ الأرضيَّة الترابيَّة بحزمةٍ من القشّ، فتجعَل من الموقع الذي كان يَنتظِر القُمامة بلاطًا لقلعةٍ صامتةٍ غير مرئيَّة، وعَبْرَ كلّ لفتةٍ صغيرةٍ، تكشفُ ملكة هذا الميدان عن جلالتها، بدءًا بكيفيَّة إشعالها النّار وانتهاءً بطَريقتها المتأنيَّة في ترتيب الأوعية القديمة ـ بما فيها من أعشابٍ وأسرار ـ فوق الطَّاولة. يتكرَّر المشهد على زاويةٍ أُخرى تبعُد عدَّة أحياءٍ من هناك؛ سطوة جديدة من الألوان والرَّوائح تتحدَّى الفجرَ الترابيّ. في الوقت نفسه، وفي مكانٍ أبعد تتلاشى فيه ملامح الحياة في الضباب، تنهضُ ممالك أُخرى. يعلن عن بداية النشاطات كلٌّ من الزنجبيل، الهيل، القرفة وأبخرة القهوة التي تتصاعد إلى السَّموات وهناك تتلاقى.

في تلك الصَّباحات، كان هذا الدُّخانَ الوحيد الذي يعترض أُفق العاصمة السُّودانية.

فنانو العدد

بلاد الشام

سوريا 2017-2019

يان بويشات

السابع من كانون الأول/ديسمبر 2024: اليوم الذي سبق سقوط الأسد

في آخر زيارة لي إلى حلب، كانت المدينة مزيجًا مؤلمًا من الدّمار والأمل. كانت هذه المدينةُ الثريّة بتاريخها، والعصيُّ جمالها عن الوصف، قد ذاقت ما يقارب الخمس سنوات من الحرب الوحشيّة، وكان الدمار يحيط بكلِّ مكانٍ. كلُّ مبنى، كلُّ جدار، وكلُّ شارع حمل آثار معارك حصدت أرواح لاتُعدّ ولا تُحصى.

كانت زيارتي في آذار/مارس 2017، بعد شهرٍ واحد فقط من طرد قوات بشار الأسد لآخر المقاتلين الذين فرضوا سيطرتهم على المدينة لأكثر من نصف عقد. في تلك اللحظة، كان الحزن يثقل كاهل كل من صمد طوال تلك السنوات القاسية، لكن وسط هذا الألم كان هناك بصيصٌ من الأمل. شعرت أن حلب تقف على عتبة بدايةٍ جديدة. بعض الناس بدأوا العودة من منفاهم القسري، بينما اختبأ آخرون خشيةً من النظام والروس وحزب الله الذين باتوا يهيمنون على المدينة. تمامًا في تلك الأثناء التقطتُ هذه الصور.

حركتي كانت مقيَّدة، إذ حرص عملاء النظام الأسدي على ألّا أكون بمفردي أبدًا. ومع ذلك، تمكنت من التقاط لمحات من تلك اللحظة التاريخية، وشهدت بنفسي ـ سطحيًّا على الأقل ـ ما فعلته الحرب بحلب.

ثمّ وفي تشرين الأول/أكتوبر من عام 2024، وجدت نفسي في سوريا مرة أخرى. لم أكن في حلب هذه المرة، لكنني كنت قريبًا منها. عندها وأكثر من أيّ وقت مضى، شعرت بالقلق الذي يجتاح الناس حين يلوح شبح الحرب في الأفق. بدا أن الجميع كان يشعر بتغيير وشيك الحدوث. كانوا يقولون: "ستتحول حلب إلى ساحة معركة جديدة!". لقد كان النظام الذي ضعف بسبب غياب الدعم المباشر من حزب الله وإيران وروسيا، في حالةٍ هشة، وكان المقاتلون الإسلاميون يشعرون برائحة الدم في الهواء.

مجدّدًا، يُسفك الدم في حلب. من يدري كم من الأرواح ستضيع هذه المرة؟ لكم من الوقت سيستمر هذا؟ ومن سيخرج منتصرًا؟ مرة أخرى، تتحول حلب إلى مسرحٍ للمأساة؛ مأساة سورية أخرى، وفصل جديد في هذه الحرب التي لا تنتهي.

يان بويشات

THE OLD CITY OF ALEPPO
A WORLD HERITAGE SITE

www.yanboechat.com

سارة قائد

بدأت سارة ممارستها الفنية كالرسم من عمر مبكر. تأثرت بالتلفاز كجهاز قطع ووصل في الوقت نفسه، وبالبيئة العائلية المحيطة حيث الحديث المستمر عن قضايا سياسية واجتماعية شائكة.

درست سارة التصميم الداخلي، وبدأت عملها كمدرّسة فنون للأطفال. وكان لمكان النشأة والعمل مع الأطفال تأثير في عرضها لأفكار سياسية وإجتماعية عديدة لاحقًا. واصلت سارة فيما بعد عملها في التدريس والأعمال الحرة من كتابة وكومكس وفنون اجتماعية قبل انتقالها إلى المملكة المتحدة لاستكمال الممارسة والتجريب. حصلت سارة على الماجستير في الفنون حيث تناولت في بحثها المرأة، اللجوء والحقائب كأداة للهجرة والتظاهر، ترجمتها من خلال مجموعة أنماط و قطع ملبوسة.

يحتل الكاريكاتير السياسي مساحة أساسية في ممارسة سارة قائد حيث تستخدم الكوميديا السوداء والأسلوب المباشر لطرح الأخبار اليومية، وتركز على قضايا عديدة كالاحتلال والاستبداد والسلطة. تعرض سارة من خلال لغة بسيطة قضايا سياسية واجتماعية شائكة، لتفتح للمتلقي (ولنفسها) باب للتفكر في مواضيع جدلية تحيط بها الرقابة والفساد. فضلًا عن النشر المستقل، تعاونت سارة مع صحف ومواقع عديدة كالحدود ومجلة رمان الثقافية وموقع تنوين، وحصلت في هذا المجال على جائزة ابن رشد للفكر الحر (٢٠١٩)، وجائزة محمود كحيل للكاريكاتير الصحفي (٢٠٢٠).

إلى جانب الكاريكاتير، تسعى سارة للتوثيق البصري اليومي للأشياء. إذ تأخذ الدفاتر والأقلام إلى عوالم عديدة. هذه الممارسة التي استمرت معها من الطفولة، وفي أماكن جغرافية مختلفة، تمت ترجمتها لاحقًا لمشاريع أكثر تحديدًا، بعضها ارتبط بمواضيع كالشعر العربي، العزلة، الاعتصامات، والتضامن الجماعي. تستخدم سارة هذه الدفاتر كأسطح للتفكير بعمق أكبر في رمزيات ومواضيع عديدة. كما ترتبط الممارسة الفردية ارتباطًا وثيقًا بالممارسات الاجتماعية التي تؤديها، فهي تقوم بزيارات لإنتاج أعمال مشتركة مع دور الرعاية، الصفوف المدرسية، بالإضافة لإنتاج المطبوعات. تنظر سارة للفنون الاجتماعية والمطبوعات كوسيلة للتظاهر الصامت والتضامن معًا. مؤخرًا، عملت مع مجموعة مكاتب في Gateshead شمال المملكة المتحدة لإنتاج أعمال مشتركة على أسطح الشبابيك، وتعاونت مع مشروع MotherOther في نفس المنطقة للحديث عن الإبادة والصور، تلقي الأطفال، ومحيط المدارس.

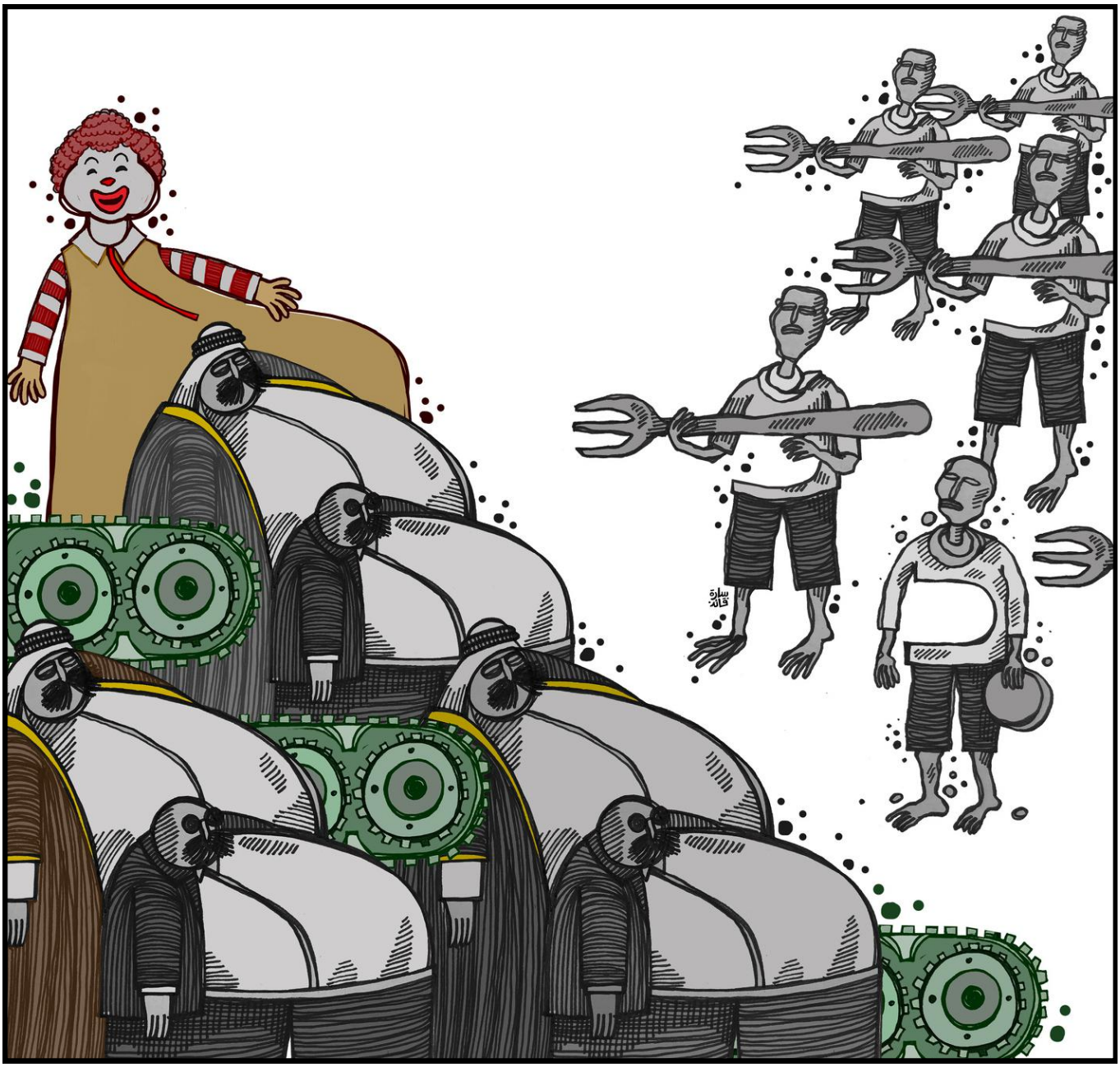
سارة خالد

سارة قاند

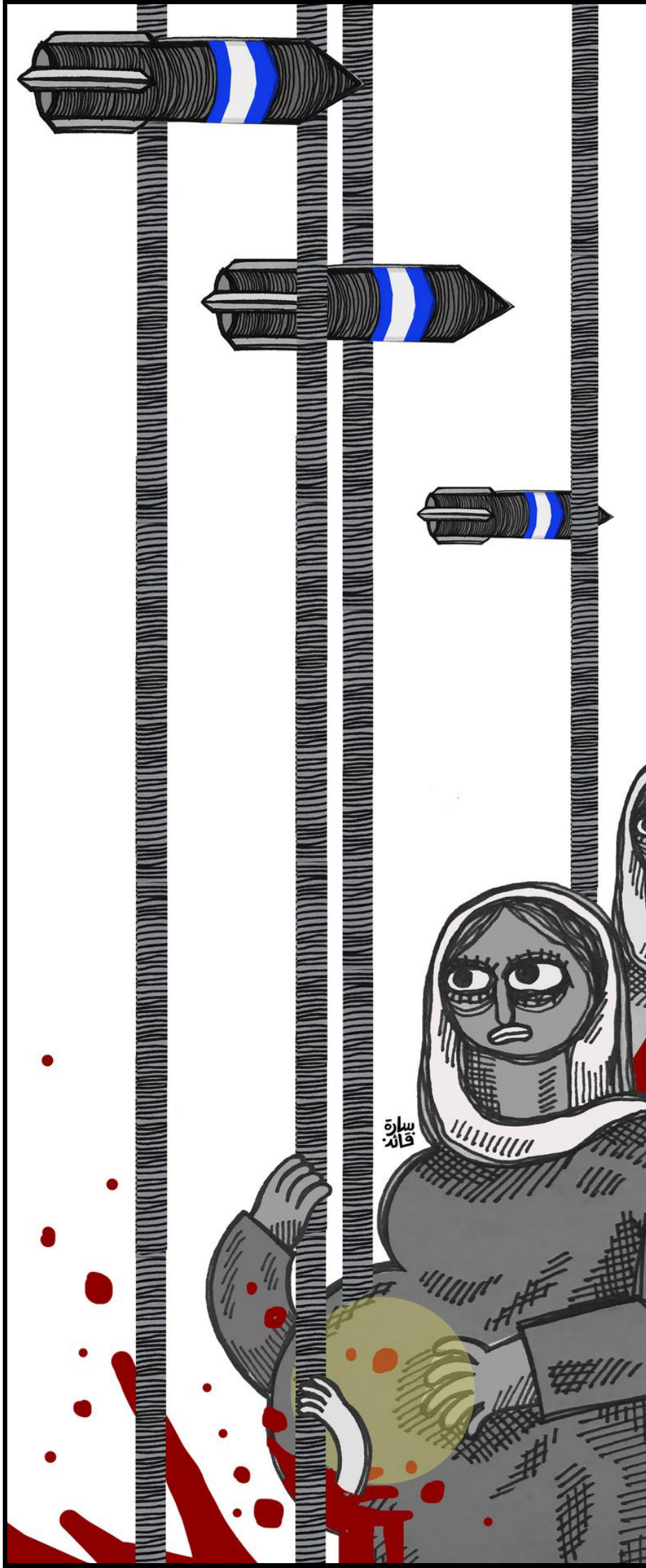
سارة قائد

سارة قاند

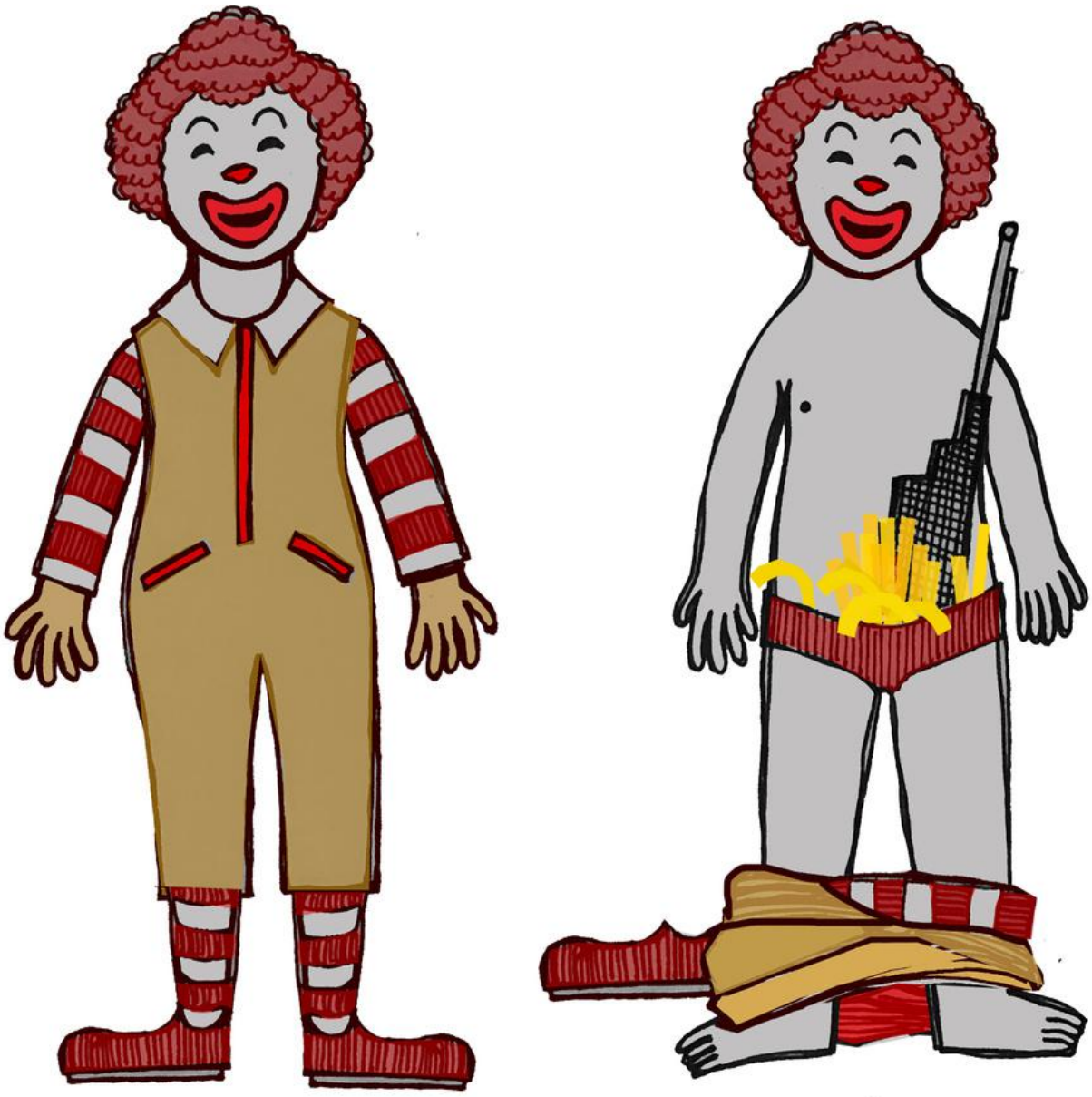

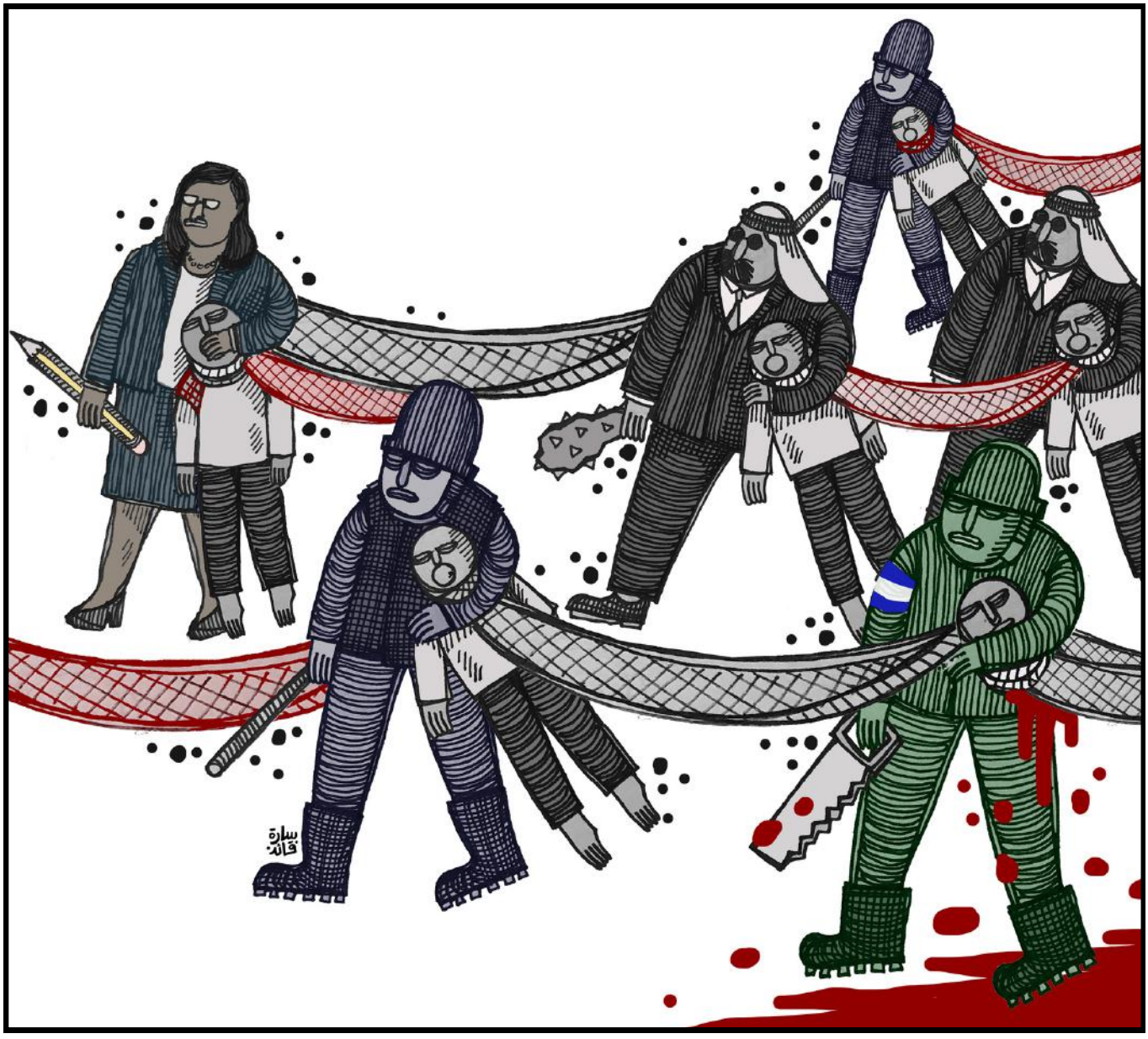
سارة قانة

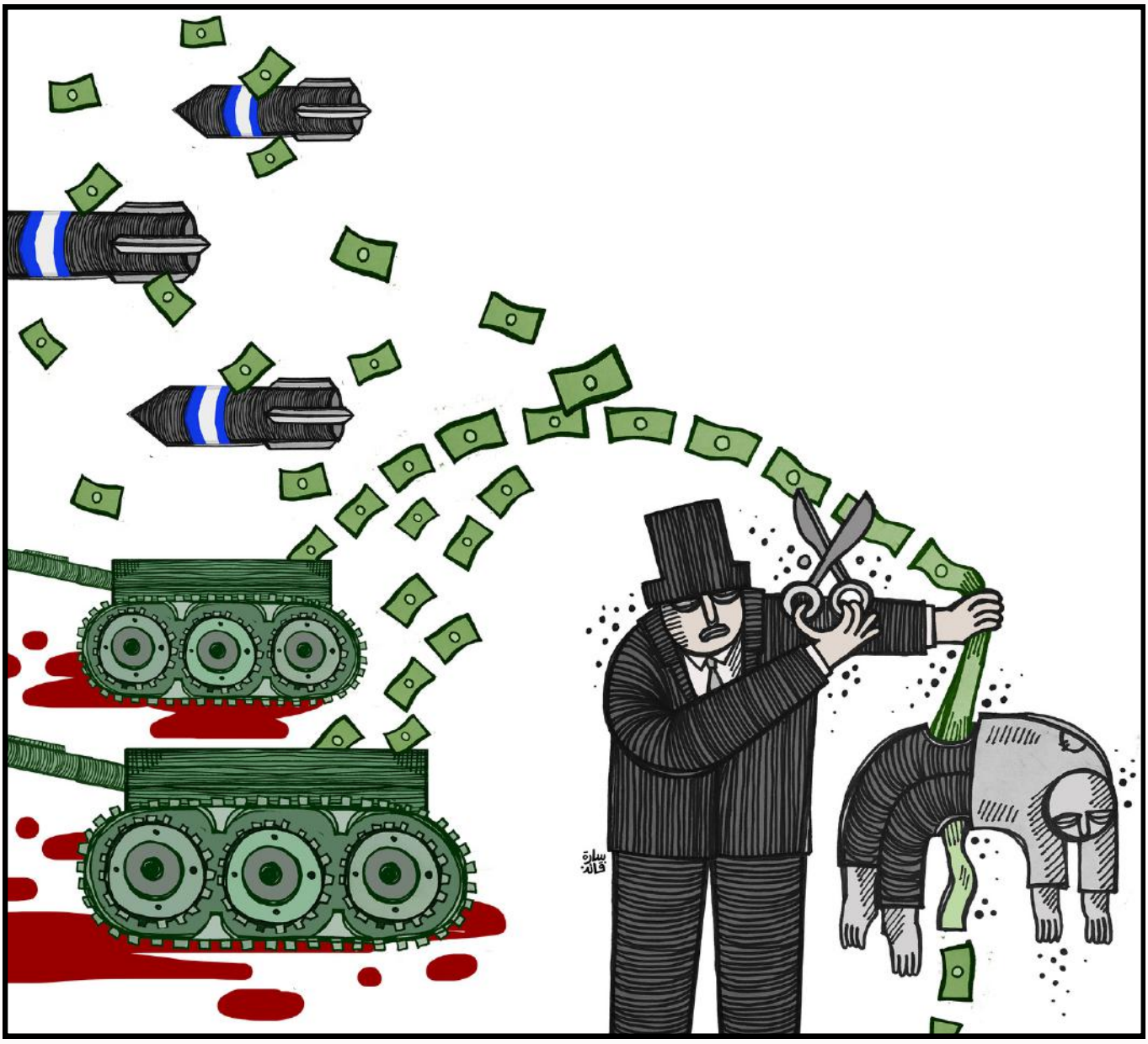
سارة قائد

سارة فائد

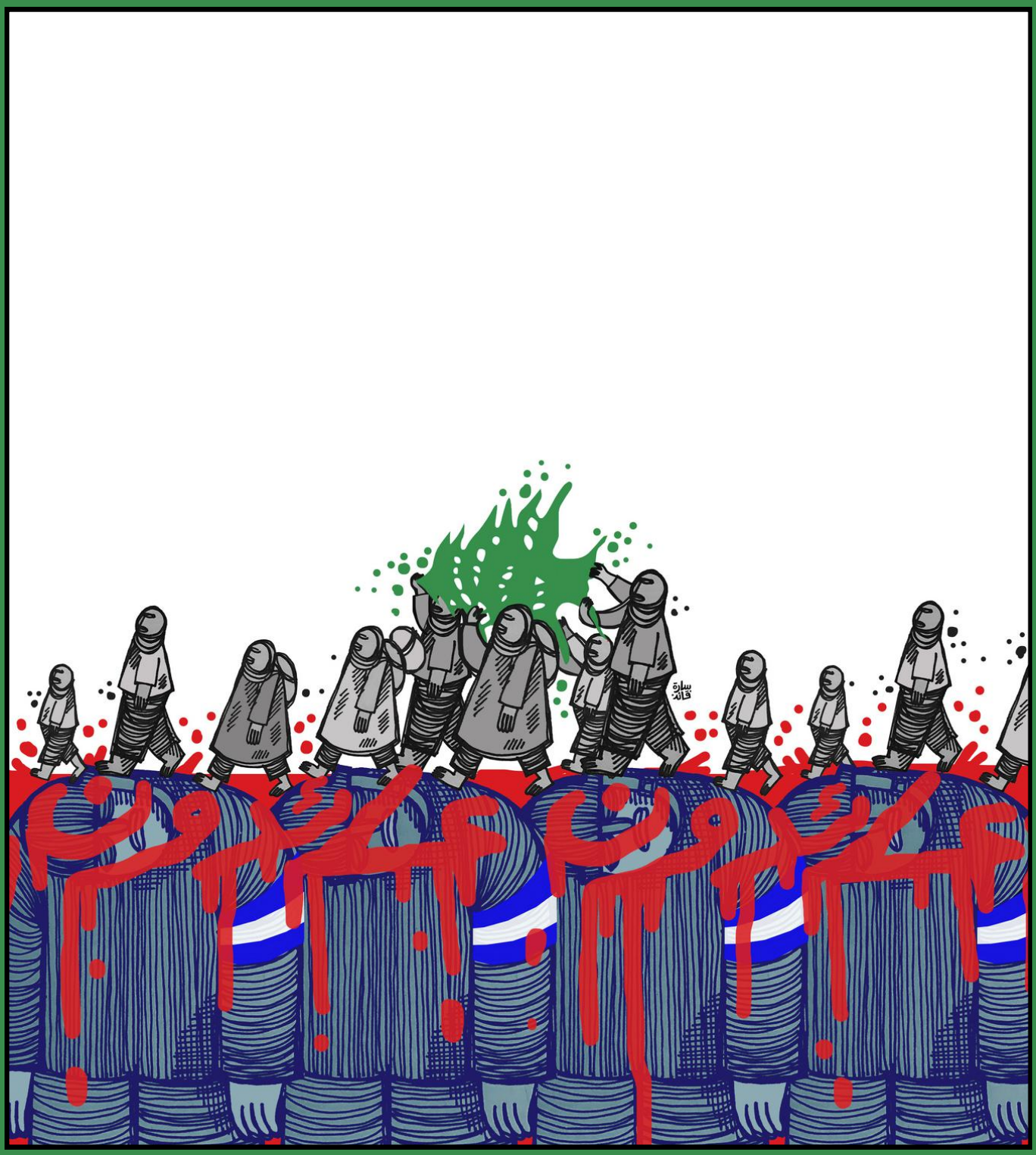

تابعوا سارة قائد

بعين طير: تضاريس ثلاثة لأغاني القضية الفلسطينية

علي موره لي

عند النظر إلى سيرورة الأغاني الناطقة بالعربية، الحاملة رسائلَ تضامن مع قضيّة الشعب الفلسطيني أو المُناصِرة له، وذلك باعتماد إحداثيات جيليّة على الموضةً التصنيفية الراهنة، بدءًا بجيل إكس (Gen X) ، يمكن عندها تمييز حقباتٍ ثلاث، تصِلُ عقد الثمانينات بالعقد الراهن، وقد تقاطعت مع مفاصلَ ثلاثة ؛ الانتفاضة الأولى (1987ـ1993) ، الانتفاضة الثانية (2000ـ2005) وصولاً إلى الحرب الإسرائيلية الدائرة رحاها إلى اليوم في قطاع غزة منذ خريف 2023 ، إثر هجوم عَبْر شماليّ القطاع، شنّته حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وفصائل متحالفة معها في 7 تشرين أول / أكتوبر.

إلا أن الغاية ههنا لن تكون التأريخ المكرويّ وإنما إطلالة ماكرويّة، أيّ من منظور"عينِ طير" (Bird's-eye view)، على تضاريسٍ ثلاثة لعلها تُميّز المسار التطوري الذي انفرط وفقهَ إنتاجٌ أدبيٌّ موسيقيٌّ، ارتبط عضويّاً بالقضيّة الفلسطينية، انبثق مدفوعاً بمخاضاتها السياسية، وتوجّه شكلًا ومضمونًا برنين خطابها التحرري.

لمّا اندلعت الانتفاضة الأولى أواخر الثمانينات، عاد النضال الفلسطيني ليكون القضيّة المركزية في البلدان الناطقة بالعربية، وعلى الأخص المجاورة لفلسطين التاريخية أو ما سُمّيَ دولَ الطوق؛ ألا وهي الأردن، سوريا، لبنان ومصر، لكونها الحاضنة الجغرافية والمجتمعية لجُلّ الحراك منذ النكبة سنة 1948، من خلال إيوائها قسماً كبيراً من شتات الفلسطينيين.

انطبق ذلك الحال على الدول جغرافيًّا وديموغرافيًّا وعلى الوعي الجمْعي الشعبي وعلى الخطاب الآيديولوجي الرسمي. حينذاك، وفي هذا السياق، لعب لبنان الدور الأبرز في إنتاج ونشرِ أغانٍ ملتزمةٍ بنضال الفلسطينيين. لعلّ ذلك قد تعلّق أولًا بمكابدة البلد الساحلي المجاور جهةَ الشمال أوّل احتلال إسرائيلي لعاصمة عربية سنة 1982، حتّم أن تستحيل بيروت جبهة مواجهة مباشرة على جميع الصعد الحربية والفكرية، ولاسيما الفنية.

ثانيًا، لم يؤوِ لبنان وحسب منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) لعقدين من الزمان، ما بين (1960ـ1982)، وإنما أمّن مناخُه السياسي والإقتصادي والثقافي الأكثر انفتاحاً بالقياس على بلدان بقيّة دول الطوق، بيئةً خصبة توفّرت فيها الموارد والسبل الإبداعية والإنتاجية، وذلك على الرغم من حرب أهلية مأسوية استمرت عقودًا، قد شكّل الصراع العربي الإسرائيلي عنصرًا أساسًا فيها.

أغنية "أناديكم" لأحمد قعبور من بين تلك الأغاني التي صدرت عن لبنان، وصدحت عبر أثير الإذاعات والقنوات التلفزيونية الناطقة بالعربية لتغدو أشبه بموسيقى تصويريّة، صاحبت مشاهدَ إخباريّة من المدن والبلدات والقرى الفلسطينية المحتلة، كانت تصوّر "أطفال الحجارة" يرمون المدرّعات والمركبات المصفّحة، فضاهت في شعبيّتها مرّات المنتوجات الغنائية الجماهيرية (Pop)، وُلع بها الأطفال والشباب وهمّوا باقتنائها مسجّلةً على أشرطة كاسيت، في بيروت ودمشق وعمان، حيث كانت تُباع في المحلّات وعلى أرصفة الطرقات.

نصُّ الأغنية قصيدة ميميّة، أيّ تنتهي أبياتها بقافية من حرف الميم، للشاعر الفلسطيني توفيق زياد تعود إلى عام 1966. لحّنها قعبور سنة 1975 خلال ليلة عجّت بالقصف إبّان الشهور المبكرة من الحرب الأهليّة اللبنانية، غنّاها لأول مرة في مستشفى ميداني ببيروت، يرافق نفسه منفرداً على آلة الغيتار، على الموضة التقدميّة لتلك الحقبة، مستلهماً أيقونة الشعر والغناء السياسي، التشيليّ ڤِكتور خارا (Victor Jara 1932–1973).

إذ سبق لميميّة زياد وأن قُدّمت مغنّاة ترافقها آلة العود، وبصوت ومن تلحين أيقونة مصرية من أيقونات الفن السياسي، المغنّي الملقب شيخ إمام (1918ـ1975) ، فإن الانتشار الكاسح الذي حظيت به نسخة قعبور قد يُعزى إلى عاملين، أحدهما قدَري توقيتي متعلّق باللحظة التاريخية المرتبطة بالسياق الزمني للحرب الأهلية اللبنانية وتواجد الفلسطينيين في لُبّها.

فيكتور خارا

أما الآخر فهو الاستثمار التلحيني الحذق من قبل قعبور للمفردة الأولى مطلعَ القصيدة، ألا وهي فعل "أناديكم"؛ حيث يجعله موتيفاً (Motif) ممدوداً مستقلًا تحدّ بينه وبين ما يليه فاصلة موسيقية، كما يوضع من علوٍّ صوتي مرتفع، سوف ينحدر تدريجيًا على طول شطر البيت، محوّلًا بذلك الموتيف إلى ثيمة (Theme)، أو موضوعة تكتنز كلّ معاني القصيدة، بما يُعدّ ضربة تلحينيّة عبقريّة، قرنت فعل النداء بفعل المناشدة، ليستحيل النداء صرخة هدّارة، تزيدُ من كمون الأغنية التعبيري وتعمّق الأثر الآني بوجدان المتلقي.

اندلعت الانتفاضة الثانية فجرَ الألفية الثالثة وسط مشهد سياسي واجتماعي عالمي وإقليمي بدا مختلفًا. لعل أهم مظهرَ اختلاف مرتبطٍ بسياق الأغنية المناصرة للقضية الفلسطينية، يتمثّل في أن فلسطين لم تعد فقط بين الشتات والمُخيّلة، وإنما أصبح لها كيانٌ جغرافيٌّ على أرضها الطبيعية. فبموجب اتفاق أوسلو الذي وُقّع سنة 1994 وأتى ثمرةً للانتفاضة الأولى، تأسست السلطة الوطنية الفلسطينية كهيئة حكم ذاتيّ مؤقت، أخذت تُدير مناطقًا في قطاع غزّة والضفة الغربية، بوصفها نواةً موعودةً لدولة فلسطينية وطنية مستقلة، بموجب سيرورة سياسيّةٍ تفاوضيّة، أُطلق عليها "حلّ الدولتين".

إذ على الرغم من تعثّره وتعطّل مساراته حتى توقّفه، فقد نقلَ وعدُ أوسلو الوعيَ الجمعي الفلسطيني إلى حال من التأرّض (grounding) ، بَزغت منها شبيبةٌ فلسطينيةٌ، باتت تُصنّف اليوم ضمن جيل الملينيالز (Millennials) ، سنحت لها فرصة النشوء والتكوّن على جزءٍ من الجغرافيا الأصلية، لتأصِر كلًّا من "الشتات" و"البلاد" بوعيٍ وطنيّ نوعيّ، أنتج أغنيةً، مثّلت فلسطين شعبيًا ورسميًّا، سواءً في البلدان الناطقة بالعربية، أو على المسارح الدولية.

لابد وأن يُنظر إلى المُغني محمد عسّاف، 34 عاماً على أنه نتاجٌ لتلك المرحلة. كبُرَ وتعلّم في خان يونس جنوبيّ قطاع غزة. في سنة 2001 ، بعد مُضيّ عامٍ على "انتفاضة الأقصى"، غنّى في فيديو مصورّ وهو في سنّ الحادية عشرة أغنية "شدّي حيلك يا بلد"، وقد كتبت كلماتها باللهجة المحكيّة الشاعرة الغزّاوية كفاح الغُصَين، التي سبق وأن كرمتها وزارة الثقافة التابعة للسلطة الوطنية، ونشرت لها ديوانًا سنة 2000 بعنوان "وشم على جبين بدوية".

أما الألحان فمن وَضْع غزّاويٍّ رملاويِّ الأصل، من مواليد مخيّم رفح للّاجئين، هو الموسيقي جمال النجار (67 عاماً). كان أول من غنّى قصيدة الغُصين، قد عَمِل ضمن السلك الدبلوماسي الفلسطيني في سفارة بلاده برومانيا، وجرى تكريمه على مجهوداته الفنية من قبل اللجنة الوطنية للقدس عاصمة للثقافة العربية في مدينة رام الله سنة 2013، وسوف يكتب ويُلحّن لعسّاف أيضًا أغنية "علّي الكوفية" ذائعة الصيت سنة 2005.

من مطلع البيت الأول في لازمة أغنية "شدّ حيلك يا بلد"، وعند ورود لفظة "البلد" الفاعل لفعل النهوض، أو بالعاميَة "شَدّ الحيل" يمكن التقاط رمز الوعْد ببناء "الأمة" (Nation building) الذي أتت به تفاهمات "أوسلو" للفلسطينيين، ثمرةً مُرّة لنضالهم وتضحياتهم.

قد أصاب النجار في اختيار مقام الهزام سُلّماً لتلحين الأغنية لسببين، الأول هو القلق الذي يكتنف قرار المقام، أو نغمة جذر السّلم ذات البُعيد، أيّ ربع تون، إذ يستجيب لمشاعر التأهّب والشروع في البناء، مما استدعى بصورة طبيعية نَظْم اللحن على إيقاع الدبكة الديناميكي الراقص. أما الثاني، فهو الهوية الإنديجينيّة (indigenous) لمقام السيغا وفرعه الهزام، وتجذّره في الفلكلور الموسيقي الفلسطيني، على الأخص في غزّة.

من غزّة المنكوبة أوّل العشريّة الثانيّة من الألفيّة الثالثة، عبرت الأغنية المناصرة للقضية الفلسطينية إلى مرحلة جديدة، ميّزها انكسارٌ وانتصار. أما الانكسار فيتجلّى بوصول حلّ أوسلو طريقًا مسدودًا، وتعليق حلم بناء الدولة على أرض فلسطين إلى حين، في حين لا يزال الطيران الإسرائيلي يدكّ ما تبقّى من القطاع، والدبابات تحاصر من بقي فيه بعد مرور أكثر من عام على حرب فظائعيّة، رشحت إلى أرض لبنان وسوريا، تحمل ملامح قياميّة قاتمة، جرّت على الفلسطينيين، مأساة انسانية بمقاييس تاريخية.

أما الانتصار فيكمن في أن القضيّة الفلسطينية بعد غزّة 2023 لم تُمْس قضيّة إلا لتُصبح من القضايا المركزية للعالم والغربيّ منه على وجه الخصوص، ر واجهاته الدولية، وإنما بجُلّ تيّاراته التقدميّة البين تقاطعية (Intersectional) الجغرافيّة والبُنى السياسية المؤسساتية، إذ صار لها صدى وانتشار بين صغار المعولمة من جيل زي (Gen Z)، التي تنحو خطًا آيديولوجيًا، يصطفّ مع القوي ومع المهمّش بإزاء المُحتظي (Privileged) الأمر الذي من شأنه بطبيع أغنية تضامنية مختلفة، ليس بالشكل و المضمون فقط وإنما أيضاً بمنصّة الانط

من أهم منصّات إطلاق الأغنية التضامنية مع غزة الطوق، بيروت والقاهرة وإلى حد ما عمّان وعبر الإنترنـ فيها بالمقارنة مع الإقليم، على الرغم من نكسات ما بعد شبابية استحالت طليعة تقدميّة تبدو مُجهّزة بأدوات ضمن أفراد الطبقة الوسطى المعولمة وتجيد الحديث

تجدر الإشارة في هذا السياق، إلى الم الإرث الكولونيالي المُتجذّر بتلك المدن نتح عنها جيلٌ فعالٌ في تبنّيه وبسطه أي المستعمَر لا المستعمِر، وذلك لما يتمتع ب منها على الأخص، علاوة على إدراكه الجيوثقافيين المُنشأين، الشرقي والغربي، و

ضمن هذه البيئة الك البديلة" وتشكّلت وفق والهيب هوب، مع إض وإلى الهوية المحلية. أ الفلسطينية باتت تُطرَح حق الفلسطيني في تقرير

محمد عساف

كايروكي

العرب المركزية
يما ليس بأغلب
) العابرة للحدود
ر الطبقة الوسطى
ع الضعيف بإزاء
ة الحال أن يُنتج
للاق والوجهة.

ة 2023 في الوقت الراهن هي عواصم
ت، ليس فقط لمناخات الانفتاح النسبية
ل الربيع العربي، وإنما أيضاً لوجود نُخب
الخطاب الكوني ما بعد الحداثي، تنشط
لى جيل Gen Z.

فارقة في أن المؤسّسات التعليمية والأكاديمية ذات
كالجامعة الأميركية في كل من بيروت والقاهرة، قد
ديولوجيا اجتثاث الكولونيالية باختياره التماهي مع
ه كفاءة علمية وتمكّن من اللغات الأجنبية، الإنكليزية
العميق لأنماط العيش والتفكير في كِلا الفلكين
بالتالي التأثير في كلّ منهما على السواء.

كوزموبوليتانية، وبتخصيبٍ من مآلات الربيع العربي، تكوّنت "الأغنية
النمط العالمي (Indi) بأجناسه الموسيقيّة الجماهيرية كالروك، السول
افة نكهات شرقية تُنشئ جسورًا للعبور الموسيقي (Crossover) من
ما من جهة المضمون، أي النص الشعري ههنا، فلافتٌ أن القضية
من منظور إنساني يتجاوز ثنائية الصراع العربي الإسرائيلي، رابطًا مسألة
ر مصيره بحركة تحرّر شامل مُتّحد ومتعدد المناسيب في آن.

إذ تلتقي الأغنية البديلة بالأغنية التقدميّة سبعينياتِ وثمانينيات القرن الماضي مثل "أناديكم" للشيخ إمام وأحمد قعبور عند حيثيّة عالميّة النضال، فإنها تفترق مع ذلك بنفورها من خطاب الآيديولوجيا وانجذابها إلى السخرية وعالم المجاز. لعلّ أحد أفضل الأمثلة أغنية "تلك قضيّة" لفرقة كاريوكي (Cairoke) المصرية، التي صدرت بمثابة ردّ فعلٍ فنيّ مبكّر على حرب غزّة 2023.

تتميّز الكلمات، التي كتبها مصطفى إبراهيم، 38 عامًا بعُمقٍ جدليٍّ ذي شحنة عاطفية أخّاذة، إذ يُنشأ عمرانُ القصيدة على متقابلات كونتربوانية (contrapuntal) ساخرة تدحض الإنسانويّة (Humanism) الغربية باختزاليّتها وانتقائيّتها واستعلائيّتها، وتَفضَح ازدواجيّة المعايير لدى تطبيقها على أرض الواقع.

أما العمران الأدبي فيكتسي لبوساً موسيقياً لولبيّاً مينيماليّاً شفّافاً، يُتيح التقاط المعاني. يُنسج بأوتار الغيتار الأكوستي (Acoustic) ومجاميع مفاتيح بيانو وخطوط غنائية ومشاهد صوتية الكترونية، تتخلّلها بصمة شرقية، تتركها آلة الرَقّ الإيقاعية، فأيّ أغنية تحملُ قضيّة غالباً ما تستدعي تصميماً موسيقيًا غائيًّا، حيث يبقى الهدف منه ضمان وصول فحوى الرسالة في سبيل توليد استجابة شعورية وتحريض فكريّ على الصعيد الفردي والجماعي، أملًا في إحداث تغيير في الرأي العام، سيؤثّر في سياسات الدول وخطط المنظمات الدولية.

استمع إلى أغاني
أحمد قعبور
محمد عساف
كايروكي

https://youtu.be/3XBxPX8VqFI?si=w6tuibApdHTrxZwz

https://youtu.be/tj5tJkkyvxg?si=XjwCIwWNlGyEOHJ1

https://youtu.be/Zf3BvhjWTKg?si=6i3YL7_3HlNvBe9w

مراجعة الكتب

كتاب ضد الجيران الطيبين لمُعسكر داخاو

ثاندر ويلسون

"فلنتخلَّ عن الانتظار والترددات وأحلام السلام الاجتماعي والتسويات الصغيرة والسذاجة. فلنتخلَّ عن التحليلات الكبرى التي تفسّر حتى أدقّ التفاصيل، وعن الكتب الضخمة المليئة بالحكمة والخوف. فلنتخلَّ عن الوهم الديمقراطي البرجوازي المنطوي على النقاش والحوار والمناظرة والمؤتمرات، وعن المهارات البرّاقة لزعماء المافيا. نحن على يقين بأن نضالنا، هنا والآن، سيُنشئ مجتمعات سعيدة. وللمرّة الأولى، ستنتصر الحياة على الموت."

ألفريدو بونانو

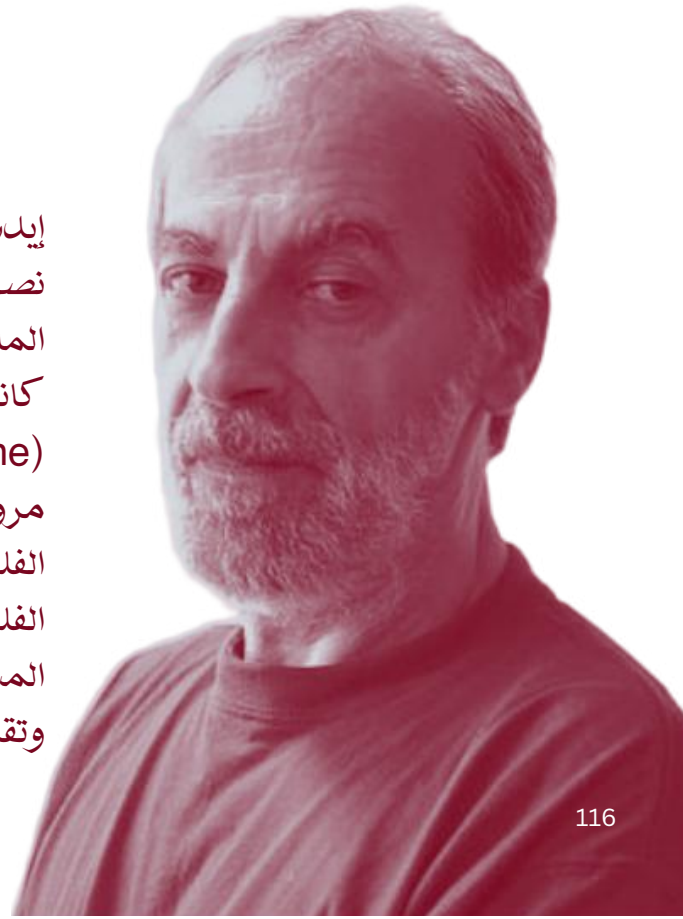

يجمع كتاب "فلسطين مونامور" الذي نشرته دار إيدسويس إنسوهيكتاس (Edições Insurrectas) نصوصًا كتبها ألفريدو ماريا بونانو بين ثمانينيات القرن الماضي وأوائل الألفية الثانية لصالح الصحيفتين الأناركيتين كانانيرو (Canenero) وبروفوكاسيوني (Provocazione). تتناول النصوص القضية الفلسطينية، مرورًا بوصول أوائل المستوطنين الإسرائيليين إلى الأراضي الفلسطينية، تأسيس دولة الاستعمار الإسرائيلي، المقاومة الفلسطينية، التضامن الدولي، الوفيّات والإبادة الجماعية المستمرة، وصولًا لنقد بونانو الحاد لحلّ الدولتين، وتقديمه أفكارًا عميقة في مفهوم المجتمع.

في ملاحظة تمهيدية تسبق نشر الكتاب، يذكر بونانو أنه خلال فترة سجنه في مدينة ترييستي عام 2004، تمكن لأول مرة من الكتابة عن التعذيب الذي تعرّض له على يد الموساد في عام 1972. تُضفي هذه القصة، التي لم نكن نعلم عنها سوى من خلال تلك الإشارة البسيطة، نبرةً خاصّة على النُّصوص التي تبعتها، حيث يوضح بونانو أن القضية الفلسطينية هي أكثر من مجرّد إبادة جماعية ممنهَجة يمارسها الكيان الإسرائيلي منذ تأسيسه.

وعند متابعة تسلسل النصوص في الكتاب، والتسلسلات الزمنية، يظهر بوضوح مدى الصعوبة في اتخاذ موقف نضالي حاسم ضد دولة إسرائيل والإبادة بحق الفلسطينيين، سواءً في هذا المجال الذي يُطلق عليه عمومًا "اليسار"، أو حتى داخل التيار الأناركي نفسه. على سبيل المثال، في نصه "مولوتوف في تورينو"، يصف بونانو ردود الأفعال التي أبدَتها العديد من المجموعات عندما أُلقيت زجاجة مولوتوف على مكتبة صهيونية كعمل تضامني ـ قيل بأنّ مجموعة أناركية تدعى (Gruppo Anarchici Rivoluzionario) تبنَّتْه ولم نعرف حقيقته حتى اليوم ـ إذ ظهرت إشارات إلى عودة العنصرية النازية ومعاداة السامية بين العديد من الأناركيين، وهي أصداء طغت على التعليقات حول هذا الفعل.

لم يتردّد بونانو في تحديد الموقف الذي يجب اتّخاذه من هذا الحدث، كاشفًا بذلك عن حساسيّة حادّة في متابعته للانتفاضات والنّضالات من أجل تحرير الشّعب الفلسطيني، إذ يقول بوضوح في كتاباته أنّ "تدمير مكتبة مؤيِّدة لإسرائيل ليس بالأمر الذي يقلقنا كثيرًا مقارنةً بتلك الحقائق المزعجة بحقّ" (ترجمة مباشرة عن البرتغالية من BONNANO 2002:71).

. علمًا بأنّه كان قد وصف هذه الحقائق في نصّ من عام 1989 قائلًا:"جميع أهوال الإبادة الجماعيّة الكلاسيكيّة تمّ استخدامها: التّهجير الجماعي، معسكرات الاعتقال، المجازر العشوائيّة، تدمير المنازل الفرديّة أو المجموعات السكنيّة بالكامل [...] العنف، الاغتصاب، استخدام فرق الموت [...]" (نفس المصدر: 64ـ65).

. من هذا المنظور، أولئك الذين يُصرّون على إجراء تمييزات تاريخيّة لتخفيف وطأة الفظائع التي تحدث في الأراضي الفلسطينيّة يشبهون "الجيران الطيبين لمعسكر داخاو"، الذين، بينما كان اليهود يُبادون، "كانوا يقدمون شكاوى للسّلطات المحليّة لأن دخان المصانع كان يقتل الطيور التي تعشش على الأشجار المحيطة بهم" (نفس المصدر والصفحة).

ما يوضّحه لنا كتاب مثل "فلسطين مونامور" هو أنّه، على الرغم من أنّ الروايات والنصوص والأبحاث اللاحقة ساهمت في فهم الكارثة وعلاقتها بالإبادات الاستعماريّة والفاشية، إلا أنّ كل شيء كان واضحًا منذ عام 1948. لم يكن هناك ما لا يمكن لمن يراقب بحساسيّة واعية ويقظة أن يلاحظه، ذلك وبالرغم من أن الربط بين الإبادة الجماعية المعادية للسامية في ظل النازية وعلاقة اليهود ببناء دولة إسرائيل خلق نوعًا من التعقيد في تحديد المواقف.

كيف يمكن فهم الإبادة التي يمارسها أولئك الذين كانوا ضحايا للإبادة؟ ألم تنتهِ الفاشية مع نهاية الحرب العالمية الثانية؟

لا شكّ بأنّ معاداة السامية هي عنصر مركزي لفهم الإبادة الجماعيّة التي ارتكبها النّازيون. ومع ذلك، فإن قراءة حصريّة لهذه القصّة من هذا المنظور فقط قد تهمّش أو حتى تمحو إبادة الغجر والشيوعيين وأولئك "المنحطّين السياسيين" الذين اعتُبروا مرضى عقليين. فإذا نظرنا لأهوال النازية نظرةً لا تنقص من وحشيّتها للدرجة اعتبارها ذروةَ معاداة السامية، يمكن أن نكتشف أنّ أولى عمليات تعقيم "المنحطّين" والمرضى العقليين لم تبدأ في ألمانيا، بل صدرت عام 1907 بموجب قانون ولاية ميشيغان، في الولايات المتحدة التي تُطلق على نفسها لقب "أرض الحرية" (Castel 1979). وبالمثل، في الأراضي التي كانت تحت سيطرة الدولة البرازيلية؛ إذ في عام 1924 في كليفلانديا، أويابوكي، كان هناك معسكر اعتقال للأناركيين والعساكر المنشقّين، معروف باسم "الجحيم الأخضر" (Samis 2019).

لقد تضاعفت السجون في كل دولة، متجاوزةً نطاق الفاشية، ومندمجةً في منطق العمل الرأسمالي، تمامًا كما حدث مع معتقل غولاغ السوفييتي في سيبيريا (كريستي، 2017؛ جيلمور، 2024). وقد تكفي مجرّد نظرة فاحصة لتُظهر لنا أن النازية، التي هي ابنة عمّ الإبادة الاستعمارية كما وصفها فوكو (ترجمة عن المصدر البرتغالي FOUCAULT, 2007: 307)، لم تكن سوى ذروة لحالة طبيعية قائمة، وأن الفاشية لم تكن يومًا نقيضًا للدولة الديمقراطية. فمثلًا، الفاشية الفرانكوية التي حكمت إسبانيا منذ عام 1939 انضمت في عام 1955 إلى منظمة الأمم المتحدة، وأُعيد تأطيرها هناك بمصطلحات مخفّفة مثل "ديكتاتورية" أو "حكومة استبدادية". وعليه: لا يوجد ما يمكن لأي منظمة دولية أو دولة أن تقول عن إسرائيل ما لا يعكس ذاتها. الفاشية كانت وما زالت تعيش ديمقراطيًا بين الدول، مصحوبةً بتاريخها وبثقل الموت الذي تسببت به.

إنّ الأصول الاستعمارية، الموروثة من الإمبراطورية البريطانية، والتي تشكّل أساس الاتفاقيّات التي سمحت بحدوث النّكبة عام 1948، تستند، كما يوضّح إدوارد سعيد، إلى ترسيخ مفهوم "الحضارة الغربية" في مواجهة صورة العربي البدائي. وسيكون منطق الدفاع عن الحضارة هذا موجّهًا للسياسات النيوليبرالية التابعة لأشخاص مثل فيلهلم روبك (1964) الذي دافع عن نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وللوثائق التأسيسية لـ«جمعية مون بيلرين» وتأثيرها على تشكيل المنظمات الدولية. كما سيظهر المنطق ذاته في بناء مفهوم الصّحة النفسيّة داخل منظّمة الصّحة العالميّة من خلال وجود شخصيّات مثل الطّبيب النّفسي البرازيلي أنطونيو كارلوس باتشيكو إي سيلفا (Yu-Jui Wu, 2021)، الذي كان مدافعًا عن تفوّق "دمّ الباندييرانتس"*، وأحد مؤسسي حزب الاتحاد الوطني الديمقراطي** (Tarelow, 2018).

الدفاع عن مشروع حضاري قائم على الغزو الاستعماري في هذا الإقليم الخاضع لسيطرة الدّولة البرازيليّة يُعدّ جزءًا أساسيًا لدعم تمويل وتوسيع الأعمال الزراعيّة الكبرى والإبادة الجماعية للسّكان الأصليّين والمشروع التّنموي الذي يسمّمنا اليوم من خلال جعل سمائنا حقلًا مفتوحًا للغازات الناتجة عن حرائق الأمازون. وعليه فإنّ الكارثة، سواء أُديرت بشكل مخفف من قِبَل اليسار أو مكثّف من قِبَل اليمين، هي النتيجة الحتميّة لهذا النّموذج العالمي الموحَّد الذي شُيّد على الادّعاء الزّائف بالتحضُّر الذّاتيّ للدّول.

ما يكشفه لنا كتاب فلسطين مونامور بشكل صارخ هو أنّ فلسطين هي العالم (راسي، 2023)، أي هي صورة لعالم يجب أن يُجرّد من أسسه على أيدي كل أولئك الذين يرفضون أن يكونوا مثل "الجيران الطيبين لمعسكر داخاو".

*الباندييرانتيس: مع احتفال ساو باولو بمرور 450 عامًا على تأسيسها، لعب النفوذ النفسي في المدينة دورًا في تكريس صورة الباندييرانتيس كرمزٍ للتفوق العرقي. هؤلاء المستكشفون، الذين كانوا برتغاليين، بعضهم من اليهود المتخفّين، وبعضهم مختلطين بالسكان الأصليين، لم يكونوا مجرد مغامرين، بل كانوا صيادي عبيد وأحجار كريمة، وعلى دراية واسعة بجغرافيا المنطقة. ورغم هذا التاريخ، دخلوا الذاكرة الجماعية لساو باولو كروّاد لعملية التوسّع الإقليمي في البرازيل.

**كان الاتحاد الوطني الديمقراطي (UDN) حزبًا محافظًا تأسس عام 1945 كمعارضة لجيتوليو فارغاس. دافع عن الليبرالية الكلاسيكية، وتم حله مع صعود الديكتاتورية العسكرية المدنية.

"الفاشية لم تكن يومًا نقيضًا للدولة الديمقراطية"

المصادر والمراجع:

CASTEL, R.; CASTEL, F.; LOVELL, A. (1979). *La Sociedad Psiquiátrica Avanzada*. Barcelona: Editorial Anagrama.

CHRISTIE, N. (2017). *Crime control as industry: towards gulags, western style*. Londres: Routledge.

FOUCAULT, M. (2005) *Em defesa da sociedade*. São Paulo: Martins Fontes.

GILMORE, R. W. (2024). *Califórnia Gulag: prisões, crise do capitalismo e abolicionismo penal*. (Trad. Bruno Xavier). São Paulo: Igrá Kniga

RACY, G. (2023). "A palestina é o mundo". Blog da Editora Tabla. Acessível em: <https://blog.editoratabla.com.br/a-palestina-e-o-mundo/>

RÖPKE, W. (1964). "South Africa: An Attempt at a Positive Appraisal." *Schweizer Monatshefte*, 44 (2).

SAID, E. (2012). *A questão Palestina*. (Trad. Sonia Midori). São Paulo: Editora Unesp.

SAMIS, A. (2019). *Clevelândia: anarquismo, sindicalismo e repressão política no Brasil*. São Paulo: Intermezzo: entremares

TARELOW, G. Q. (2018) "Antonio Carlos Pacheco e Silva: psiquiatria e política em uma trajetória singular (1898-1988)". 383p. Tese (Doutorado) – Universidade de São Paulo, São Paulo, 2018.

YI-JUI WU, H. (2021). *Mad by the millions : mental disorders and the early years of the World Health Organization*. London: MIT PRESS

في جعبة الظرفاء

ياليته بقي صغيرًا: حكاية حال

أمين ناصر الدين

تمّ نشر هذه الحكاية في "الجالية"، ضمن العدد 51، 25 كانون الأول/ديسمبر 1923.

كان لسعيد بن سليمان اللبناني فندق « لوكندة » متين البنيان حَسَن الهندسة قائم على أكمة شمّاء أمامها بسيط من الأرض فيه الأشجار البواق والفياض الغبياء، يترقرق بينها جدول عذب الماء، وقد أحدقت بالفندق حديقة تنوعت فيها الفواكه ، ونمت في جنباتها أنواع الرياحين والأزاهر، فكانت الإقامة في ذلك الفندق من مبلغات النفس أمانيها وكان سعيد بن سليمان يعيش في فندقه عيشة راضية ، فلم تكن تتناجى في صدره الهموم ، ولا يُرى إلا باسماً مشرق الوجه وكان ما يكسبه من زوار الفندق كل سنة كسباً خالصاً لا يقل عن أربعمائة دينار ذهبي، لأنه لم يكن مضطراً إلى الإكثار من النفقة ولم يحتج إلا إلى اثنين من أصحاب المرتّبات أحدهما طاهٍ (طباخ) والثاني نادل (سفرجي).

ولم ينقض اسبوع حتى شرع الحجّارون في عملهم وبدأت البغال تنقل الحجارة، والبناؤون ينحتونها ويعدونها للبناء وغيرهم ينقلون الجير (الكلاس) ويحفرون الأرض استعداداً لتأسيس الغرف، ولم يكن لصاحبنا سعيد من شغل إلا فتح الصندوق وإخراج الدنانير ليدفع إلى العمال أجرتهم، ومع أنه وجد للنفقة مسّاً أليمًا، كان ما يؤمله من الكسب في مستقبله ينسيه الخسارة على البنيان.

ومضت أعوام وسعيد على تلك الحال فإذا صندوقه حافل بالدنانير الوهّاجة، ووسوس له شيطان الطمع، فقال يوماً لزوجه الحسناء وهما يتطرّبان بصلصلة الدنانير: إذا كان كسبُنا من هذا الفندق الصغير أربعمائة دينار كل سنة وليس فيه إلا عشر غرف تحتوي ثلاثين سريراً أفلا يصبح الكسب ألف دينار إذا جعلنا غرف الفندق خمسًا وعشرين؟ فلمعت عينا المرأة سروراً وقالت لم تعدُ برأيك الصواب، فأعدَّ لوازم البناء و اختر للبنيان بعض مشاهير البنائين فلا تأتي السنة الجديدة حتى يكون لنا فندق لا مثيل له في لبنان، أما المال فوافرٌ من فضل الله: ومهما تنفق منه على البنيان نقتص ما ينيف عليه من كسب المستقبل.

وبعد مضي شهرين تم بناء الغرف الجديدة، وشرع النجّارون يصنعون الأبواب والنوافذ والسقوف؛ وسعيد ينفق بلا حساب، وتلا ذلك تجيير الجدران وزخرفتها، ورصف أرض الغرف بصفائح من الحجر المنحوت، وطلا الأبواب و النوافذ بما يكسبها ألواناً تسرُّ الناظرين، وغير ذلك مما يحتاج إليه البنيان الجديد، ولما أصبح كل شيء تاماً نظر سعيد إلى الفندق فإذا هو على أقصى غايات الإحكام والإتقان، رفيع الذرى، رحب الإبهاء، يسع خمسة وسبعين سريراً بعد أن كان يضيق بالثلاثين، فمشى مشية المعجب بما بنى، وأخذته سورة التيه فخُيِّل إليه أنه أحد ملوك العصر، وما لبث أن هبط بيروت فاشترى لفندقه أثمن الرياش وأحسن التحف، وبعد أن وضع كل شيء في مكانه وامرأته تدخل غرفة وتخرج من غرفة وتمشي في الأروقة مرحاً، فتح الزوجان الصّندوق فوجداه أفرغ من فؤاد أم موسى فعلّلا النفس بالكسب في السنة التالية.

وأقبل الصيف فغصَّ الفندق بالمصطافين، واضطر سعيد إلى الاستعانة بكثير من الطهاة والسفرجية والخدم، ووصل إلى الحكومة أن لسعيد فندقًا فخماً لا مثيل له، ففرضَت عليه الضرائب وطالبته بما لم يكن يخطر له ببال. وانقضى الصيف وعمل سعيد حساباً فوجد الدخل وافرًا لكن النفقة أوفر منه فصكَّ محياه بكفِّه وزفر زفرة سَمعَتها امرأته فأقبلت تستطلع الأمر، ولما رأت خلاصة الحساب امتقع لونها وتناظر الزوجان وقالا معًا: ليته بقي صغيرًا.

وأخذ الرواة يروون حكاية سعيد وفندقه، وكلما سمعها أحد يقول: ما أشبه هذه الحكاية بحكاية لبنان!

نبذة عن المؤلفين

سامي يواكيم الراسي
(صيدا/ 1880 - ساو باولو/1927)

كاتب، مترجم، صحفي، ومؤسس مجلة الجالية. من بين العديد من مؤلفاته، برز «كتاب الواجبات» الذي صدر عام 1911.

سميرة عادل عثمان

حاصلة على درجة الدكتوراه في التاريخ الاجتماعي من جامعة ساو باولو عام 2007. تعمل كأستاذة مشارِكة في قسم التاريخ بجامعة ساو باولو الفيدرالية، حيث تتخصّص في تدريس تاريخ آسيا وتساهم في برنامج الدراسات العليا للقسم.

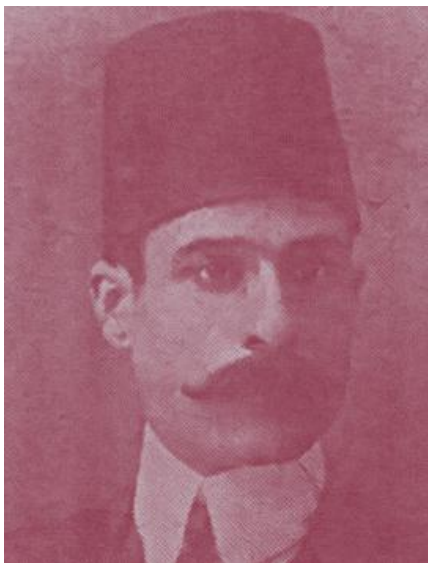

أمين ناصر الدين

أمين علي ناصر الدين (1876 ـ 1953) كان صحفيًا وروائيًا وشاعرًا ولغويًا لبنانيًا. عمل كرئيس تحرير لمجلة الصفا، التي أسسها والده، وكتب أغلب فصولها طوال ثلاثين سنة، كما كان مرشدًا للعديد من المثقفين.

غوستافو راسي

عالم أنثروبولوجيا، حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية من جامعة أنتويرب (2018)، يقوم حاليًا بأبحاث ما بعد الدكتوراه في جامعة ساو باولو الفيدرالية وهو أحد المسؤولين عن إدارة مجلّة الجالية.

لوسيانا غارسيا أوليڤيرا

باحثة حاصلة على درجة الماجستير في الدراسات اليهودية والعربية من قسم اللغات الشرقية في جامعة ساو باولو. عضو في مجموعة أبحاث الفارابي ومؤلفة مشاركة لكتاب «دليل روتليدج للإسلام والعرق» (2024).

نتاليا نحاس كارنيرو مايا كلفت

حاصلة على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة ساو باولو، حيث تعمل كباحثة في مجموعة دراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي التابعة لكلية الفلسفة والآداب والعلوم الإنسانية، وكأستاذة مساعدة في المدرسة الصيفية للرابطة الدولية للعلوم السياسية. تشغل حالياً منصب رئيسة معهد الثقافة العربية.

جوزيف ضاهر

أستاذ جامعي في جامعة «لوزان» السويسرية وجامعة «غينت» البلجيكية.

له مؤلّفات من بينها: «حزب الله: الاقتصاد السياسي لحزب الله» (2016)، و«سوريا بعد الانتفاضات، الاقتصاد السياسي لمرونة الدولة» (2019).

صفاء جبران

أستاذة للغة العربية والأدب العربي الحديث في جامعة ساو باولو، ومترجمة حائزة على عدة جوائز منها جائزة الأكاديمية البرازيلية للترجمة (2014)، وجائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي (2019).

إيثار ضاهر

باحثة حاصلة على درجة الماجستير في الأدب المقارن (دراسات غربية وعربية) من معهد الدوحة للدراسات العليا. طالبة ماجستير في العلاقات العربية الإفريقية في جامعة الدراسات العالمية (معهد إفريقيا)، الشارقة، وعضو في جمعية الدراسات الأميركية الأصلية والسكان الأصليين.

علي موره لي

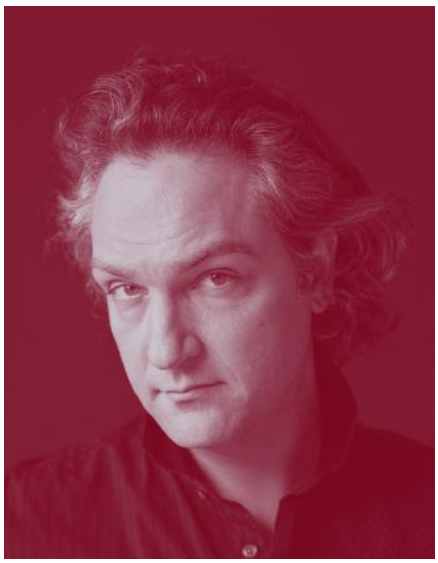

موسيقي وكاتب وصانع بودكاست من سوريا، مقيم في العاصمة الألمانية برلين، خريج المعهد العالي للموسيقى والفنون المسرحية بدمشق وجامعة كارلسروه للموسيقى والإعلام في ألمانيا، له مقالات منشورة وبودكاستات مرفوعة على عدة منصّات عربية.

ڤاندر ويلسون

حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية من الجامعة البابوية الكاثوليكية في ساو باولو (PUC-SP). أخصّائي ومرشد اجتماعي، ومُعلّم في برنامج (PROAD UNIFESP). كما أنه باحث في مركز الدراسات البينية حول المواد المؤثرة نفسيًا (NEIP).

يان بويشات

صحفي ومراسل حربي عمل في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية التابعة للإعلام البرازيلي، فضلًا عن مساهماته الدولية في وسائل إعلام مثل نيويورك تايمز، بي بي سي، دويتشه فيله، وإن بي سي. يركز في عمله على تغطية تأثير الأحداث الكبرى على الإنسان.

سارة قائد

فنانة بحرينية حاصلة على درجة الماجستير في الفنون. تركّز في أعمالها على قضايا كالاحتلال والاستبداد والسلطة، وغيرها. إلى جانب النشر المستقل، تعاونت سارة مع صحف ومواقع عديدة وحصلت في هذا المجال على جائزة ابن رشد للفكر لحر (٢٠١٩)، وجائزة محمود كحيل للكاريكاتير الصحفي (٢٠٢٠).

نيوني

برازيلية مقيمة حاليًا في فرنسا، كاتبة حاصلة على شهادة في الأدب من جامعة ولاية ساو باولو. تكرّس وقتها لكتابة القصص القصيرة، وتعمل حاليًا على إنهاء روايتها الأولى. فازت قصتها "بائعة القهوة" بجائزة (بوروهيلاتو) من مؤسسة (كازا آفريكا) في جزر الكناري لعام 2023 .

aljaliahbr@gmail.com

تابعونا على وسائل التواصل الاجتماعي